فلسطين

فيتنام جيل ألفا
وفلسطيننة العالم

خورخي ماجفود Jorge Majfud

HUMANUS

سان دييغو-أكابولكو

فلسطين، فيتنام جيل ألفا

خورخي ماجفود 2023.
الطبعة الثانية مع ملحق 2024

© خورخي ماجفود2023
Illegal Humanus 2023 ©

ISBN: 978-1-956760-14-9
humanus.info

jmajfud@ju.edu

جميع الحقوق محفوظة لأي تسويق للنص الكامل. يمكن إعادة إنتاج أو استخدام أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة رسومية أو إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ الضوئي أو أنظمة المعلومات والاسترجاع، بشرط عدم تغيير النص الأصلي.

ستُتبرع عائدات حقوق النشر لهذا الكتاب للأطفال الناجين من النزاع من خلال منظمات دولية معتمدة من الأمم المتحدة.

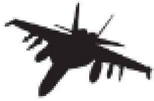

الفهرس

الصراع على المجالات الدلالية: القلم والبندقية........................17

لماذا الإبادة الجماعية في غزة مماثلة ومختلفة عن غيرها من الإبادات الجماعية؟ 19

حماس تهاجم إسرائيل...27

الصهيونية...31

معاداة السامية...35

شعب مختار آخر...39

"لدينا الحق في الدفاع عن أنفسنا ضد الإرهابيين"......................43

فيتنامنا...47

نازيو عصرنا لا يرتدون شوارب 51

فلسطين: التجريد التاريخي (والاستراتيجي) لشعب من إنسانيته......55

هبة أبو ندا قُتلت اليوم.. 61

جوجل ويوتيوب ومورالفار... 63

بالحق الإلهي.. 69

الانتحار البطيء للغرب.. 75

عندما تتسرب حقيقة الحرب إلى عالمنا المليء بالأوهام 87

الحياة البشرية كأثر جانبي 91

دروع بشرية 97

بعد 2024.. 103

لدي رأي غير قانوني حول [redacted] في [redacted] 105

ماذا تعلمنا من الطلاب؟ 111

نفس الحقائق. وعي جديد؟ 117

ألغاز وأسئلة حول إبادة جماعية جديدة من الكتاب المقدس 123

أقنعة العنصرية 129

لغز الشعب الفلسطيني... 133

أولمبياد الدم 141

إمبراطورية الإنكار تغض الطرف وتؤمن 145

الوسائل تبرر الغايات II 151

قنابل مليئة بالحب... 157

إرهابيون؟... 161

يمكن للمتوحشين أن يتعلموا زراعة الأرض........................ 163

رسالة مفتوحة... 169

هناك شيء لا يمكن شراؤه أو بيعه، ولهذا السبب يثير غضباً شديداً 175

1 صموئيل 27 7. عاش داود في أرض الفلسطينيين سنة وأربعة أشهر. كان داود يصعد مع رجاله ليشن غارات على الغزوريين والجرزوريين والأماليك، لأنهم كانوا في القدم سكان المنطقة من تلعام إلى الجنوب وإلى مصر. كان يدمر المنطقة ولا يترك رجلاً ولا امرأة على قيد الحياة؛ كان يستولي على الأغنام والثيران والحمير والجمال والملابس، ثم يعود إلى أخيش. كان أخيش يسأل: «من هاجمتم هذه المرة؟» فيجيب داود: «جنوب يهوذا، أو أرض يرحمئيل، أو الكينيين». لم يترك داود رجلاً ولا امرأة على قيد الحياة، لئلا يضطر إلى أخذهم إلى جات، لأنه كان يقول: «لا يحلو أن يتكلموا ضدنا ويبلغوا عنّا الفلسطيّين». وهكذا تصرف داود طوال الوقت الذي سكن فيه في أرض الفلسطينيين.

عدد 31: 7–12. وحارب بنو إسرائيل مديان، كما أمر الرب موسى، وقتلوا جميع رجالهم. وقتلوا بينهم أيضًا ملوك مديان الخمسة، وهم إيفي وركين وسور وحور وربا، وقتلوا أيضًا بالسيف بلعام بن بعور. وأخذ بنو إسرائيل نساء المديانيين وأطفالهم أسرى، ونهبوا جميع أملاكهم، وكذلك جميع ماشيتهم وحيواناتهم، وأحرقوا جميع المدن والقرى التي كانوا يسكنونها. جمعوا كل الغنائم، وكل غنيمة الحرب، من الرجال والحيوانات، وأخذوا كل شيء إلى موسى والكاهن أليعازار وجماعة بني إسرائيل. وأخذوا الأسرى والغنائم إلى المخيم الذي كان في سهول موآب، بجانب الأردن وأمام أريحا.

"يجب أن تتذكر ما فعله بك عماليق، كما تقول كتابنا المقدس. ونحن نتذكر ذلك ونكافح".

بنيامين نتنياهو

"امح ذكرى عماليق. لا تنسها"

شعار باللغة العبرية على حافلات إيغيد الإسرائيلية

"أراد الصهاينة الحصول على فلسطين كلها على طبق من فضة، لكن ذلك لم يكن ممكنًا دفعة واحدة. سيتعين القيام بذلك على مراحل. لا يمكننا طرد ستة ملايين شخص واستبدالهم بستة ملايين آخرين وجعل الجميع سعداء".

هاري ترومان

"عندما يحل السلام، ربما نتمكن بمرور الوقت من مسامحة العرب على قتل أبنائنا، لكن سيكون من الصعب علينا مسامحتهم على إجبارنا على قتل أبنائهم".

غولدا مائير، رئيسة وزراء إسرائيل

"الأسلحة المستخدمة لقتل الفلسطينيين هي أسلحة أمريكية... حماس تم الترويج لها من قبل إسرائيل. فرضنا على الفلسطينيين نظامًا لانتخاب قادتهم بطريقة ديمقراطية. ولكن بما أن الشعب انتخب الحزب الذي كنا نروج له، علينا الآن أن نقتلهم".

رون بول، عضو الكونغرس عن ولاية تكساس.

"لدينا الكثير من الأثرياء في الولايات المتحدة الذين يريدون القدوم إلى غزة. لدي 500 منهم في هاتفي المحمول. سيغادر مليوني عربي غزة وسنحتلها نحن . إنهم يريدون القضاء على دولة إسرائيل. إنهم وحوش. نعم، يمكنك تسميتها تطهيرًا عرقيًا إذا أردت".

دانييلا فايس، زعيمة المستوطنين.

"ترك مليوني فلسطيني في غزة يموتون جوعًا سيكون أمرًا مبررًا وأخلاقيًا".

بيزاليل سموتريتش، وزير المالية الإسرائيلي.

"توجهنا في أفعالنا التوراة. كل شيء مكتوب هنا. تقول التوراة أنه حيثما توجد مستوطنة يهودية، سيكون هناك أمن. لماذا يكون من غير الأخلاقي أن آخذ الأرض من شخص يريد قتلي؟ لقد عاش أجدادي هناك".

أميحاي إلياهو، وزير التراث

"لقد قتلنا آلاف الأموريين... أخلاقياً، كل عربي مشبوه! نحن لا نملك أخلاقاً. أن تكون أخلاقياً يعني أن تقتل كل الإرهابيين بعد استجوابهم... أن تكون أخلاقياً يعني أن تدمر وتغزو كل إسرائيل".

تشاي بن هامو، جندي وحاخام إسرائيلي.

"لقد أحاطت المجتمع الإسرائيلي بجدران مادية وعقلية. معظم الإسرائيليين، إن لم يكن جميعهم، مقتنعون بأننا الشعب المختار، ولذلك لدينا الحق في أن نفعل ما نشاء. الاستعمار الإسرائيلي هو الوحيد الذي أعرفه في التاريخ حيث يصبح المحتل ضحية... قالت غولدا مائير نفسها

إن اليهود يمكنهم بعد المحرقة أن يفعلوا ما يشاؤون. والأسوأ من ذلك كله أن تجريد الفلسطينيين من إنسانيتهم هو ما يسمح لنا نحن الإسرائيليين بالعيش بسلام مع ضميرنا. إذا لم يكونوا بشرًا مثلنا، فليس هناك مشكلة في حقوق الإنسان . سألت الوزير إيهود باراك ذات مرة عما كان سيفعله لو كان فلسطينيًا. قال لي: "كنت سأنضم إلى جماعة إرهابية"... ذات مرة، صادفت سيارة إسعاف متوقفة لمدة ساعة. سألت الجنود الذين كانوا يلعبون لعبة الباكغامون عما إذا كانوا سيفعلون الشيء نفسه لو كان أحد آبائهم في سيارة الإسعاف. غضبوا لأنني تجرأت على مقارنة آبائهم بفلسطيني".

جيدون ليفي، صحفي وكاتب إسرائيلي

"العدو ليس حماس. كل طفل، كل رضيع في غزة هو عدو. لا ينبغي أن يبقى أي طفل فلسطيني هناك".

موشيه فيغلين، نائب إسرائيلي

"ماذا؟ غزة لا تزال موجودة؟ إذن، لماذا أيقظتني؟ أوه، هل قمنا بمحوها؟ أخبرني عندما لا يتبقى شيء".

موشيه كورسيا، جندي وفنان إسرائيلي.

"لا أشعر بالشفقة تجاه سكان غزة. لا أعتقد أن هناك أي شخص في دولة إسرائيل، في أرض إسرائيل، يجب أن يشعر بالشفقة تجاههم. لا البالغين، ولا كبار السن، ولا الشباب، ولا الأطفال. يمكن لسكان غزة أن يموتوا جوعًا. ماذا يهمني؟ لماذا يجب أن نهتم بهم؟"

ياكي آدمكر، صحفي إسرائيلي.

"لماذا ننفق أموالنا لبناء ميناء لهم؟ لا يجب أن ننفق فلساً واحداً على المساعدات الإنسانية. يجب أن يكون الأمر كما في هيروشيما وناغازاكي وأن ننهي هذا الأمر بسرعة".

تيم والبرغ، عضو الكونغرس الأمريكي.

"حملة "عنف المستوطنين" هي كذبة معادية للسامية ينشرها أعداء إسرائيل بهدف تشويه سمعة المستوطنين الرواد ومشروع الاستيطان، والإضرار بهم، وبالتالي تشويه سمعة دولة إسرائيل بأكملها. إنها حملة غير أخلاقية لمقاطعة إسرائيل، تحول الضحية إلى مهاجم وتسمح بسفك دماء المستوطنين. من المخجل أن تتعاون حكومة مع هذا في هذه الأيام التي يدفع فيها المستوطنون حياتهم ثمناً في حرب غزة. بمساعدة الله، سأواصل العمل بشجاعة لتعزيز وتطوير المستوطنات اليهودية في كل أنحاء أرض إسرائيل والكفاح من أجل سلام مستدام، لن يتحقق إلا عندما تتلاشى آمال العرب في إقامة دولة عربية على أنقاض الدولة اليهودية. إذا كان الثمن هو فرض عقوبات أمريكية ضدي، فليكن.

بيزاليل سموتريتش، وزير المالية الإسرائيلي.

"إذا كنت تدعم الإبادة الجماعية، فلن يتم اعتقالك، بل سيصفقون لك".

ميدا بنجامين، ناشطة يهودية ضد الإبادة الجماعية في فلسطين.

"لا يوجد أبرياء في غزة، لا يوجد شيء من هذا القبيل. في غزة، الجميع مذنبون، الجميع اختاروا حماس، جميع من تجاوزوا سن الرابعة هم من مؤيدي حماس".

رامي إيغرا، مدير الموساد

"كلمة *أبارتايد* هي الأكثر دقة لوصف فلسطين... لا أريد التحدث مع ديرشوفيتز، ولا حتى بشكل غير مباشر. لا أرى أي داعٍ لمناقشة شخص لا يعرف الوضع في فلسطين... في الولايات المتحدة، لا يُناقش أي شيء ينتقد إسرائيل".

جيمي كارتر

"الإبادة الجماعية في غزة ليست باسمي".

ستيفن كابوس، ناجي من الهولوكوست.

"ليس على اليهود أن يلعبوا اللعبة وفقًا لقواعد العالم، لأن العالم غير أخلاقي. العالم لديه مفهوم معوج للأخلاق... أرض إسرائيل ملك لنا لأن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب أعطانا إياها. خلق الله العالم بأسره، وفي ذلك اليوم قرر أن يعطينا نحن اليهود تلك الأرض... عندما نبدأ في التحدث بلغة التوراة، سيبدأ العالم في احترامنا. العالم لا يريدنا أن نتبع قواعده... العالم يغضب عندما نريد أن نشبههم. يريدوننا أن نكون في مقدمة الصف. يريدوننا أن نكون القادة ونعلمهم. قريبًا سيتوسلون إلينا "أيها اليهود، أرجوكم، أرونا الطريق". عندها لن نتمكن من تكرار نفس الخطأ المتمثل في الحديث عن الديمقراطية. علينا أن نتحدث بصفتنا ما نحن عليه: شعب الله المختار. يزعم البعض أنه يعلّم اليهود الأخلاق، في حين أننا نحن من جلبنا الأخلاق إلى العالم. علينا أن نوضح لهم أننا شعب

الله المختار وبطلو القصة الأعظم التي رويت على الإطلاق . لذا، أيها السادة، قليلاً من الاحترام والتواضع، وسنكون سعداء بأن نريكم الطريق".
بيريل سولومون، ناشط ومحفز إسرائيلي

"يجب أن نلجأ إلى التربية قليلاً. عندما نتحدث عن جرائم ضد الإنسانية وجرائم حرب، لا يوجد مشكلة في الدرجات بل في الجوهر. عندما تسبب قنبلة أضراراً جانبية، سيموت أطفال فلسطينيون بلا شك. لكن هؤلاء الأطفال لن يموتوا وهم يشعرون أن الإنسانية قد خانتهم. الشيء الفظيع هنا هو تخيل أطفال إسرائيليين يموتون وهم يحملون في أذهانهم تلك الصورة الأخيرة من اللاإنسانية. أعتقد أننا يجب أن نوضح ذلك لأن عالم العواطف يقارن بين أشياء غير متساوية".
سيلين بينا، صحفية فرنسية

"نحن نحارب حيوانات بشرية".

يوآف غالانت، وزير الدفاع الإسرائيلي.

"في المجتمع (اليهودي) الذي نشأت فيه، لا نحمل المسؤولية فقط لمن ارتكبوا الهولوكوست. بل نحمل المسؤولية أيضاً للشهود السلبيين على الإبادة الجماعية، للأشخاص الذين أداروا رؤوسهم ببساطة وتركوا الأمر يحدث. هذا هو السبب الذي يجعلني أحارب هذه الإبادة الجماعية (في فلسطين)، لأنها جريمة ضد الإنسانية. إنها جريمة ضدنا جميعًا. هذا ليس صراعًا دينيًا. عاش اليهود والمسيحيون والمسلمون في سلام لآلاف السنين في فلسطين، في القدس. لم يندلع الصراع إلا مع وصول الصهاينة، ولم يكن هذا الصراع بين الصهاينة والفلسطينيين فقط. كان

أيضًا بين الصهاينة واليهود والصهاينة والمسيحيين. لذا، فإن في الوقت الحالي، هناك حاجة ماسة إلى الكثير من التثقيف الأساسي. يجب على حكومة الفصل العنصري في إسرائيل أن تنهي التطهير العرقي. هذا لم يبدأ في 7 أكتوبر. هذه هي القصة منذ ما قبل تأسيس دولة إسرائيل".
جيل ستاين، مرشحة للرئاسة الأمريكية

"القول بأن دولة (مثل إسرائيل) لها الحق في الوجود لا معنى له. الدول ليس لها حقوق. البشر هم الذين لهم حقوق".
أفيفا تشومسكي، مؤرخة وناشطة
"أنا شخصياً فخورة بدمار غزة. كل الأطفال، حتى بعد 80 عاماً، سيخبرون أحفادهم بما فعله اليهود".
ماي جولان، وزيرة إسرائيلية لتقدم المرأة

طفلان فلسطينيان بجانب جثة والدتهما.

غزة، نوفمبر 2023

الصراع على المجالات الدلالية: القلم والبندقية

من ناحية، هناك الحقائق التاريخية التي نعرفها جميعًا، بشكل أو بآخر. ومن ناحية أخرى، هناك شيء أكثر أهمية، وهو الصراع الديالكتيكي والحرب السردية. بعبارة أخرى: الحرب النفسية.

في حالة مذبحة غزة، تنقسم هذه الحرب إلى مجموعتين: (1) مجموعة تصر في خطاباتها (أو في أفعالها) على أن *البشر ليسوا جميعًا متساوين*. إنها قناعة من العصور الوسطى، ما قبل عصر التنوير. في ذلك الوقت، كانت فكرة أن حياة النبيل وحياة الفلاح متساويتان تثير ضحكًا جماعيًا، حتى بين الفلاحين. أما المجموعة الأخرى (2) فتصر على المبدأ الإنساني القائل بأن جميع الأرواح متساوية في القيمة. ومن المفارقات أن هذه المجموعة الأخيرة هي التي تتهم بالعنصرية ودعم الإرهاب.

أدخلت الإنسانية والتنوير الإجماع (كانت الفكرة منتشرة بشكل غامض لدى الإغريق القدماء والمسيحيين الأوائل) على أن كل حياة لها نفس القيمة. هذه الفكرة، التي كانت في السابق سخيفة، أصبحت نموذجًا . ولكن، في الواقع، لا يزال يثبت أن جميع الأرواح ليست متساوية في القيمة. كانت عبارة "جميع البشر متساوون" التي صيغت في إعلان استقلال الولايات المتحدة، في الوقت نفسه، حقيقة نظرية وكذبة عملية.

كان من كتبوها يؤمنون بتفوق "العرق الأبيض"، وكانوا من دعاة العبودية ولم يتخلوا عن ذلك أبدًا.

على الرغم من أن الطبقات الدنيا تمكنت من الحصول على العديد من الحقوق على أساس مبدأ المساواة (دائماً بالقوة أو من خلال صراع غير متكافئ ضد السلطة القائمة)، فإن الأدلة الواقعية لم تتغير كثيراً. عندما قتلت جماعة إرهابية 12 شخصًا في باريس في يناير 2015، سار عشرات القادة من جميع أنحاء العالم، من نيكولا ساركوزي وفرانسوا هولاند وأنجيلا ميركل إلى بنيامين نتنياهو ومحمود عباس، متشابكين الأذرع في شوارع باريس. وكان في مقدمة المسيرة رئيس مالي إبراهيم كيتا ورئيس نيجيريا محمدو إيسوفو. وقد رفع العالم شعار "أنا شارلي".

وفي الوقت نفسه تقريبًا، قتلت جماعة بوكو حرام مئات الأشخاص في نيجيريا، بعد مذابح أخرى ارتكبت في نفس البلد في العام السابق، راحلاً عنها ما يقدر بـ 6000 ضحية. لم تكن هناك مسيرات. لم تكن هناك دموع. الصحافة بالكاد أوردت الخبر. كانوا " " سود البشرة، وربما أسوأ من ذلك، كانوا فقراء ويعيشون في أحد تلك "البلدان القذرة"، حسب تعريف الرئيس دونالد ترامب.

المئات الملايين من القتلى في الإمبراطوريات الغربية لا يكاد يذكرهم أحد في كتب التاريخ، ناهيك عن وسائل الإعلام الكبرى.

لماذا الإبادة الجماعية في غزة مماثلة ومختلفة عن غيرها؟

يدعي المدافعون عن الإبادة الجماعية في فلسطين أنها ليست إبادة جماعية، وأنه كانت هناك إبادة جماعية أخرى مماثلة أو أسوأ في الماضي القريب. بعد أن قاموا بتجريد الضحايا الذين ذبحوا تحت القنابل أو أعدموا كل يوم بإفلات تام من العقاب من إنسانيتهم، انتقلوا إلى تهديد وتجريم منتقديهم. والأداة التقليدية هي اتهامهم بمعاداة السامية ثم وضعهم على قوائم سوداء حتى يفقدوا وظائفهم أو يُطردوا من بلدان إقامتهم، كما حدث مرات عديدة. إحدى خدمات الابتزاز، إلى جانب الموارد شبه اللانهائية للCIA والموساد، تتمثل في ملفات مضايقة مختلفة، مثل الملف الذي اعترفت به مؤخراً حكومة الولايات المتحدة، وهو *ملف* Canary Mission (في هذه الحالة، لتجريم الطلاب والأساتذة المنتقدين لإسرائيل)، ومجموعة متنوعة من الإجراءات التي ستُعرف يوماً ما بمزيد من التفصيل من خلال التسريبات أو رفع السرية عن الوثائق، كما يحدث عادةً، وسنكتشف فيها أسماءً، سواءً من المنتقدين والناشطين المدرجين في قائمة الابتزاز والقتل المدني ( )، أو من المتعاقدين المرتزقة والمتطوعين، أولئك الذين يعرضون أنفسهم مجانًا لمعاقبة الأفراد الشرفاء من خلال أقوى القوى في العالم، لأن بساطتهم وجبنهم لم يسمحا لهم أبدًا بالقيام بذلك بجهودهم الخاصة—وبعضهم نعرف أسماءهم بالفعل.

بالطبع كانت هناك إبادة جماعية أخرى في التاريخ. في العصر الحديث، كانت معظم وأسوأ حالات الإبادة الجماعية التي أودت بحياة ملايين الضحايا الذين تم قتلهن بشكل متعمد أو مخطط له، من تنفيذ

الإمبراطوريات الكبرى في الشمال الغربي أو حلفائها الرئيسيين. وقد كتبنا عن هذا الموضوع منذ سنوات.

لنأخذ على سبيل المثال واحدة من أسوأ الإبادة الجماعية في الأجيال الأخيرة، وهي الإبادة الجماعية في رواندا. على مدى ثلاثة أشهر، قامت ميليشيات الهوتو في رواندا، تحت حماية حكومة جان كامباندا، بذبح التوتسي وحتى بعض أفراد عرق الهوتو أنفسهم الذين كانوا في الوسط. وكما كان متوقعًا، تم تشجيع هذه الإبادة الجماعية وتوجيهها من قبل أيديولوجية اليمين المتطرف المتمثلة في تفوق الهوتو، الذين اعتبروا أنفسهم أعلى من التوتسي من الناحية العرقية، وبالتالي لهم الحق في القضاء عليهم من على وجه الأرض. ولتبرير حقهم الأصلي في الأرض ( )، لجأ الهوتو إلى أساطير حول وجود شعب هوتو في رواندا قبل وصول التوتسي من إثيوبيا. ثم فرضوا نظام الفصل العنصري في المؤسسات الحكومية الرئيسية، مثل التعليم والجيش. ثم جرموا أي هوتو يصادق توتسي أو يجرؤ على الدفاع عن إنسانيته. تشير الدراسات حول هذه الشعوب البانتو إلى اختلافات جينية وعرقية غير ذات أهمية، إذا ما قارناها ببقية الشعوب المجاورة.

في مايو 1994، فرضت الأمم المتحدة حظراً على توريد الأسلحة إلى حكومة كامباندا العنصرية والإبادة الجماعية ووزير دفاعه ثيونستي باغوسورا. وقد انتهكت حكومتا فرنسا وجنوب أفريقيا في أشهرها الأخيرة من وجودها هذا الحظر. في يونيو، بالتزامن مع وصول نيلسون مانديلا إلى السلطة في جنوب أفريقيا، دخلت قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة إلى رواندا وانتهت الإبادة الجماعية في أقل من شهر. بعد سنوات، ندم بيل كلينتون على عدم قيامه بأي شيء لوقف هذه الإبادة الجماعية، على الرغم من أن تدخلات واشنطن، مثل التدخلات الأوروبية، لم تطلب أبدًا إذنًا من أي أحد. في الواقع، لقد فعل شيئًا: أمر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بسحب قوات حفظ السلام قبل الإبادة

الجماعية، ورفضت واشنطن استخدام كلمة "إبادة جماعية" أثناء ت بعد الإبادة الجماعية دون قيود وعلى الرغم من احتجاجات العديد من المجموعات الإنسانية في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك عسكريون مثل الجنرال الكندي روميو دالير.

قُتل ما يقرب من نصف مليون من التوتسي بهدف إبادتهم كشعب أو طردهم من أراضيهم لصالح العرق السائد. وهذا الرقم يقارب الرقم المقدر في حالة فلسطين في السنوات الأخيرة فقط، إذا لم نرجع إلى النكبة الأولى من 1946 إلى 1948 والحرب المستمرة ضد الفلسطينيين في فلسطين التي، منذ ذلك الحين وبدون هوادة، خلفت في المتوسط 1500 فلسطيني قتيل سنويًا، بالإضافة إلى الذين جردوا من أراضيهم وحقوقهم الإنسانية على يد مستوطنين مسلحين، بالإضافة إلى الذين اختطفهم الجيش الإسرائيلي نفسه، ومن بينهم آلاف الأطفال.

الفرق بين الإبادة الجماعية في غزة والإبادات الجماعية الأخرى التي أسفرت عن مئات الآلاف من القتلى واضح.

على الرغم من أن أيديولوجية التفوق العرقي لحزب الهوتو كانت تتفاقم منذ سنوات عديدة، إلا أن الإبادة الجماعية في رواندا حدثت في غضون ثلاثة أشهر.

لم يكن أي من أيديولوجييها أو من نفذوها يكررون كل يوم وكل عام وعقدًا بعد عقد خطبهم في وسائل الإعلام الأقوى في العالم حتى لا يعترف أحد بأن إبادة جماعية تحدث في رواندا.

لم يكرر أحد في العالم حجة تفوق الهوتو بأن رواندا لها الحق في الدفاع عن نفسها، ناهيك عن أن ذبح الأطفال والرجال والنساء من جميع الأعمار، كل يوم، كان جزءًا من هذا الحق.

على عكس الصهاينة، لم يكن لدى الهوتو المتعصبين صحفيون بارزون في القنوات ووسائل الإعلام الرئيسية في جميع أنحاء العالم، يعلقون على الأخبار مع علم رواندا على مكاتبهم، ويبررون العنف ضد التوتسي ويجرمون مقاومتهم باعتبارهم إرهابيين معادين للبانتو.

بصرف النظر عن الهوتو في رواندا، لم يكن هناك أي جماعة أو كنيسة في برلين أو أتلانتا أو ساو باولو أو بوينس آيرس أو لاغوس أو نيودلهي تبرر تصرفات الهوتو أو تصلي من أجل سلامتهم، على الرغم من أنهم كانوا مسيحيين.

لم يكن رئيس الوزراء جان كامباندا يسافر إلى واشنطن لإلقاء خطب في الكونغرس. لم يكن يتلقى تصفيقاً حاراً من المشرعين الذين يؤيدون مشروعه العنصري من أجل التصويت على قوانين تجرم المدافعين عن حقوق التوتسي في الغرب أو تفرض قسم الولاء لرواندا من أجل شغل منصب عام أو تلقي المساعدة في حالة وقوع كارثة مناخية.

لم يكن كامباندا يُستقبل من قبل كل رئيس من رؤساء الولايات المتحدة لضمان الحصول على مليارات الدولارات من الدعم المالي والعسكري والإعلامي والمعنوي.

لم يكن لدى "هيمنة الهوتو" أقوى لوبي في الغرب يمول كل سياسي فائز في الولايات المتحدة، ولم يكن لدى ممثلي الشعب أعلام رواندا عند مدخل مكاتبهم. لم يعلن أحد، مثل السناتور رافائيل (تيد) كروز والعديد من الآخرين، أن مهمته الرئيسية في واشنطن هي حماية رواندا.

لم يحظَ ثيونستي باغوسورا ولا منظمة "هوتو سوبريمسي" بدعم غير مشروط من غالبية الدول الأوروبية ولا من رئيس المفوضية الأوروبية، على الرغم من أن أوروبا قتلت ملايين الأفارقة في أفريقيا أكثر من اليهود في الهولوكوست خلال الحرب العالمية الثانية، وبالتالي، ينبغي أن تشعر بندم عميق على الشعوب الأفريقية لا يقل عن ندمها على الشعوب اليهودية والغجرية.

لم يتم اعتقال أو ضرب الأمريكيين أو الألمان أو الأرجنتينيين الذين حملوا أعلام التوتسي من قبل الشرطة في بلدانهم المتحضرة، ولم يتم اتهام تيونستي باغوسورا ( ) بإثارة الكراهية ضد البانتو، على الرغم من أن الهوتو والتوتسي هم من شعوب البانتو.

لم يهدد أي رئيس أمريكي من البيت الأبيض بخطف وإرسال جميع الذين ينتقدون رواندا إلى معسكر اعتقال في السلفادور، لأن انتقاد رواندا كان يعني معاداة أمريكا.

لم يرسل حكام الولايات المتحدة رسائل إلى أساتذة الجامعات يحظرون عليهم استخدام كلمات مثل *الإبادة* الجماعية أو *التوتسي* أو *تفوق الهوتو*. لم يطلبوا من الطلاب تسجيل محاضرات أساتذتهم، ولم تستخدم الحكومة الفيدرالية عملاء مقنعين لاختطاف الطلاب الذين يكتبون مقالات دفاعًا عن حقوق الإنسان للتوتسي في الشوارع.

لم يلغ أساتذة الفلسفة الأخلاقية أو الدراسات الأفريقية دوراتهم الدراسية حول تاريخ شعب التوتسي أو حقوق الإنسان في رواندا خوفًا من فقدان وظائفهم، سواء عن طريق الفصل أو إلغاء العقود بما يخالف القواعد التي تنظم استمراريتهم في الوظيفة، أو عن طريق التخفيض التعسفي لرواتبهم، أو خوفًا من عدم الحصول على وظيفة في مؤسسات أخرى بعد فصلهم.

لم يكن حتى نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا قادراً على إملاء ما يجب أن يقوله ويفعله رؤساء وسيناتورات أكبر القوى في العالم، مثل أوروبا والولايات المتحدة،

لم يكن مرتكبو الإبادة الجماعية في رواندا يمتلكون أكبر رؤوس الأموال في العالم مثل Black Rock و JP Morgan و Barclays. لم تكن لهم علاقات تجارية مع أكبر شركات التكنولوجيا المتخصصة في التجسس والتلاعب بالرأي العام، مثل Palantir. لم يقرروا عشرات الانتخابات حول العالم، مثل فريق خورخي. لم يكن لديهم أقوى وكالة سرية وأكثرها فتكًا في العالم، ولم يعملوا بالتعاون مع أكبر وكالتين سريتين أخريين في العالم.

لم يبق جان كامباندا في السلطة ثلاثين عامًا بل ثلاثة أشهر، وحوكم وأدين بتهمة الإبادة الجماعية. كما حُكم على وزرائه وعسكرييه وأيديولوجيي التفوق الهوتو والصحفيين بالسجن لعقود بتهمة الإبادة

الجماعية وجرائم ضد الإنسانية والتحريض على الإبادة الجماعية أو التبرير لها.

مثل أي إبادة جماعية أخرى، لم تكن الإبادة الجماعية في رواندا سبباً ولا نتيجة *لرواندية* منهجية للعالم، حيث حلت العنف وسياسة القسوة محل النقاش والاختلاف في الرأي.

بسبب المضايقة الصماء للسلطة.

بسبب العقلية العمياء للقبائل.

بسبب انتصار العنصرية وكراهية الأجانب والتمييز الجنسي.

بسبب بيع الحب.

بسبب تسويق الكراهية.

بسبب الخوف من أن نكون ونشعر.

بسبب الخوف من التفكير بشكل مختلف.

من أجل الدوبامين القبلي وطعم الدم.

بسبب التلاعب بالأفكار والعواطف.

بسبب الهندسة الاجتماعية للجوع.

بسبب الحاجة كأداة للسيطرة.

بسبب العبودية الطوعية.

من أجل التعصب الديني.

بسبب تلقين الجماهير.

بسبب وهم الحرية الفردية.

بسبب تقديس الأقوى.

بسبب تجريم الأضعف.

بسبب عسكرة الشرطة.

بسبب تسييس العدالة.

من أجل السوط الذي يربّي العبد.

من أجل الإعجاب بالعبودية.

بسبب قانون المختل عقلياً الذي لا يستطيع التمييز بين الخير والشر ويستبدله بالشيء الوحيد الذي يثير فيه أي عاطفة: الفوز أو الخسارة.

حدثت الإبادة الجماعية في رواندا في رواندا. تحدث الإبادة الجماعية في فلسطين في غزة وفي كل مكتب، وفي كل زاوية من كل مدينة، وفي كل غرفة نوم في كل بلد.

حماس تهاجم إسرائيل

وفقًا لمقال صغير في صحيفة واشنطن بوست، بين يناير وسبتمبر 2023، قُتل 227 فلسطينيًا على يد القوات العسكرية الإسرائيلية والمستوطنين، الذين عادةً ما يطردون الفلسطينيين من منازلهم ومزارعهم دون عقاب. وعندما لا يقتلونهم، يختطفونهم بتهم عشوائية بناءً على تقدير الجنود والقانون الإسرائيلي. مرت هذه الوفيات الـ 227 دون أن يلاحظها أحد. لم تكن هناك مسيرات ولا غضب من وسائل الإعلام أو قادة العالم الأقوياء. لم يكونوا مهمين أبدًا. كانوا *نكرات*، كانوا حيوانات، كانوا أرقامًا، كانوا *لا شيء*.

بعد يوم 7 أكتوبر المأساوي (الذي تلاه العديد من الأيام الأكثر *مأساوية* والتي لن توصف بالضرورة على هذا النحو)، اتُهم أولئك الذين أدانوا منذ البداية الأعمال الحربية لحماس والحكومة الإسرائيلية بأنهم "يؤيدون الإرهاب" من قبل أولئك الذين يدينون حماس فقط ويبررون الإرهاب الجماعي والتاريخي والمنهجي للحكومة الإسرائيلية.

إن السماح لمجموعة من الإرهابيين المبتدئين باقتحام الحدود الأكثر حراسة في العالم، وتأخر رد الجيش الرابع الأقوى في العالم لساعات، أمر غير معقول ، تمامًا مثلما كان غير معقول قبل 22 عامًا أن يقوم طلاب طيران سعوديون بإسقاط البرجين الأكثر حراسة في العالم عن طريق اختطاف طائرات تجارية في المطارات الأكثر حراسة في العالم. بالإضافة إلى تأخر رد الفعل لساعات، عندما ردوا، لم يتمكن طياروهم في طائرات فائقة التكنولوجيا من تمييز إرهابيي حماس عن مواطنيهم. وبعد أسابيع، في محاولة لإظهار الصدق الموضوعي، اعترفت الحكومة الإسرائيلية بأن عدد الضحايا كان أقل بـ 200 شخص من العدد المعلن، حيث أنها في البداية أحصت جثثًا محترقة لأشخاص آخرين على أنها

جثث لمواطنيها، مما يعني اعترافًا ضمنيًا بوقوع مذبحة عشوائية على يد سلاح الجو الإسرائيلي الذي لم يميز بين ضحاياه وضحايا الإرهابيين الآخرين. يقول الجيش الإسرائيلي إنه يعرف كل شيء عن الأنفاق الموجودة تحت المستشفيات التي يقصفها بلا رحمة، لكنه لم يكن يعلم شيئًا عن عبور مسلحي حماس بحثًا عن رهائن...

ثم جاءت رد الفعل الوحشي "للدفاع ضد الإرهابيين" الذي خلف أكثر من 11 ألف قتيل من الأبرياء، نصفهم تقريبًا من الأطفال (ومن المهم الإشارة إلى أن نصف سكان غزة تقريبًا من الأطفال)، ناهيك عن الآلاف المفقودين تحت الأنقاض والمليوني بريء يعانون من أعمق اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD) يمكن تخيله. إنها بالفعل مدرسة لتخريج "الإرهابيين".

يتم قصف مناطق بأكملها، بما في ذلك المستشفيات والمدارس ومخيمات اللاجئين بحجة أنه قد يكون هناك إرهابيون. الاستخبارات الإسرائيلية التي لم تستطع توقع أو منع الغزو القصير لحماس في 7 أكتوبر، تؤكد أنها تعرف كل ما يحدث في باطن الأرض الفلسطينية. المسؤولية عن مقتل العديد من الأطفال الفلسطينيين تقع على عاتق إرهابيي حماس الذين يستخدمونهم كدروع بشرية. وكما لخصت رئيسة الوزراء الشهيرة غولدا مائير قبل نصف قرن، "لن نستطيع أبداً أن نغفر للعرب إجبارنا على قتل أطفالهم". لقد وصلنا إلى هذا المنطق الإبادة الجماعية والإرهابي للغاية باسم (1) الله، (2) الديمقراطية، (3) الدفاع عن النفس و(4) مكافحة الإرهاب.

في الوقت الحالي، وبصرف النظر عن مبدأ "الحق في الدفاع عن النفس" الأحادي الجانب، تركز المطالب المؤيدة لإسرائيل على إطلاق سراح الرهائن الذين لا يزالون في أيدي حماس. وهو أمر نؤيده صراحة. ولكن لماذا لا نتحدث أيضًا عن الاختطاف المنهجي للفلسطينيين من قبل

الجيش الإسرائيلي؟ فعدة آلاف منهم يقبعون في سجون إسرائيل دون محاكمة وبتهمة إهانة أو عصيان الأوامر التعسفية لجنودها. أو لرمي الحجارة على أقوى جيش في العالم . السفير الإسرائيلي نفسه، جيلات إردان مايلز، في خطاب أمام الأمم المتحدة، رفع حجراً ليثبت عدوان الفلسطينيين. ما هي المسافة التي يمكن لطفل أو شخص بالغ أن يرمي فيها مثل هذا الكتلة الخرسانية بيد واحدة؟ العديد من المسجونين هم من القاصرين، أي مختطفين من قبل دولة أجنبية، كما هو الحال مؤخراً مع الشابة عهد التميمي، إلى جانب 7000 رهينة فلسطينية أخرى لا يطلق عليهم هذا الاسم حتى لا يجرح ذلك مشاعر الغرب الديمقراطي والمتحضر.

الآن، دعونا نترك للحظة الظروف التاريخية الحالية ونركز على المفاهيم الأساسية لهذا الصراع الذي ليس إقليمياً فحسب، بل عالمياً أيضاً، بسبب أسبابه وعواقبه.

الصهيونية

نشأت الصهيونية في إنجلترا الإمبراطورية في القرن السابع عشر. كان داعموها من المسيحيين البروتستانت الذين آمنوا بأن المجيء الثاني للمسيح سيحدث في عام 1666، بعد عودة الشعب العبري إلى فلسطين وقبوله للمسيح كمسيح. أي بعد تحول اليهود إلى المسيحية. لا شيء جديد.

وفقًا للمؤرخة الإسرائيلية والخبيرة في الصهيونية في جامعة تل أبيب أنيتا شابيرا، نقل الإنجيليون الصهيونيون هذه الفكرة إلى بعض المجتمعات اليهودية في منتصف القرن التاسع عشر، على الرغم من مقاومة الحاخامات أنفسهم للقومية اليهودية منذ بداية ذلك القرن. وفقًا لآخر الإحصاءات، يتكون الصهيونية حاليًا من يهودي واحد لكل ثلاثين مسيحيًا.

كان معظم معارضي الصهيونية، منذ بداياتها، من اليهود. وما زالوا كذلك حتى اليوم. عندما تقبل الفلسطينيون أنفسهم فكرة حل الدولتين، يطالب اليهود الأرثوذكس المناهضون للصهيونية بتفكيك دولة إسرائيل بأكملها، التي يعتبرونها معادية لليهود. بالنسبة لهم، فإن "عودة الشعب العبري" إلى أرضه ليست حقيقة سياسية، ناهيك عن كونها حقيقة عسكرية، بل هي معجزة من الله. كما يقول المثل الشعبي، "الصهاينة لا يؤمنون بالله، لكنهم على يقين من أنه هو الذي أعطاهم الأرض".

في الوقت الحاضر، إحدى هذه الجماعات اليهودية المناهضة للصهيونية هي Neturei Karta، التي تأسست في القدس عام 1938. في ذلك الوقت، كان هتلر يدعم الفكرة الصهيونية كشكل من أشكال التطهير العرقي الطوعي، وهو أمر مشابه جداً لما حدث للسود في

الولايات المتحدة، بعد أن منحهم لينكولن حق التصويت: فقد تم "إعادة" الكثير منهم إلى هايتي وأفريقيا، حيث أسسوا ليبيريا. وهو أمر مشابه لما يسعى إليه نتنياهو ومؤيدوه مع السكان الفلسطينيين المزعجين: أن يرحلوا، وأن يبحثوا عن ملاذ في بلد آخر. في الواقع، فإن الشتات الفلسطيني، الذي يبلغ عدده حوالي عشرة ملايين نسمة، يتجاوز منذ أكثر من عقدين عدد الفلسطينيين في فلسطين.

يعيش يهود أرثوذكس آخرون معادون للصهيونية شمال القدس، في حي ميا شعاريم، الذي أتيحت لي الفرصة لزيارته في التسعينيات، عندما بدا أن اليهود والفلسطينيين على وشك التوصل إلى اتفاق. بعد أيام من مغادرتي فلسطين وإسرائيل (بعد ساعتين من الاستجواب في مطار تل أبيب)، اغتال متطرف يميني رئيس الوزراء إسحاق رابين، محققاً هدفه في تدمير أي أمل في التعايش.

بالطريقة نفسها التي توقف بها المسيحيون في القرن الرابع عن الاضطهاد ليصبحوا مضطهدين مع إضفاء الطابع الرسمي عليهم من قبل الإمبراطور القاسي قسطنطين، أصبح اليهود (الذين اضطهدهم المسيحيون وطردوهم وشوهوا صورتهم في أوروبا لقرون) مضطهدين بعد الحرب العالمية الثانية.

في عام 1975، قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة، في قرارها 3379، أن "الصهيونية هي شكل من أشكال العنصرية والتمييز". تم إلغاء هذا القرار في عام 1991 كشرط لإسرائيل للمشاركة في مؤتمر مدريد للسلام، الذي أدى إلى اتفاقيات أوسلو. بعد عقد من الزمن، فشلت هذه الاتفاقيات أيضًا، لأن واقع المستوطنات غير القانونية كان يتعارض مع جميع الوعود بالاستقلال الفلسطيني.

لقد نجا الشعب اليهودي في الشتات لمدة ألفي عام في آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا. وقد طُرد واضطُهد عشرات المرات، لا سيما في

أوروبا والولايات المتحدة قبل عام 1945. ولم ينكسر معنويًا أبدًا حتى تمكنت دولة إسرائيل من تحقيق ذلك.

معاداة السامية

طوال معظم القرن العشرين، وخاصة بعد المحرقة اليهودية وإنشاء إسرائيل، أصبح اتهام "معاداة السامية" أحد أكثر التهم التي يخشاها أي ناقد لسياسات حكومة إسرائيل. هذا السخف نابع من الخلط الاستراتيجي بين الصهيونية واليهودية. وبالمثل، لطالما اختطفت جميع القوميات الشعوب المختلفة من خلال ربط قراراتها السياسية ببلد بأكمله. في أوقات الحرب، كانت أي انتقادات تُعتبر غير وطنية، لأن كل شيء ينحصر في ثنائية "هم أو نحن" المبتذلة والإجرامية.

يبرر بنيامين نتنياهو ملكية الأرض على أساس نسب عرقي-إثني صوفي يمتد لأكثر من ألفي عام. ويوصف المعارضون بأنهم *معادون* للسامية، وهو وصف عنصري أو على الأقل إثني. ومن المفارقات أن نتنياهو ومعظم الإسرائيليين أقل *سامية* من الفلسطينيين. الإسرائيليون المعاصرون هم من الساميين بقدر ما الصهاينة متدينون. وقد أظهرت العديد من الدراسات الجينية أن ما يقرب من نصف النسب الجيني لليهود ( ) يمكن إرجاعه إلى الشرق الأوسط القديم والنصف الآخر إلى أوروبا.

الفلسطينيون ليسوا فقط أكثر سامية من الإسرائيليين، بل هم المجموعة الجينية الأقرب إلى اليهود المعاصرين. ومع ذلك، فقد وصفهم العديد من أعضاء حكومة نتنياهو بأنهم "حيوانات ذات قدمين"، ويعتبرهم عدد غير قليل من الإسرائيليين وحوشًا غير إنسانية أو على الأقل بشرًا من طبقة دنيا، إلا أنهم يعانون من عنف جسدي ومعنوي أسوأ بكثير من المهمشين في الهند. ما الذي يمكن أن يكون أكثر معاداة للسامية من هذا في يومنا هذا؟ إنها الاستراتيجية القديمة التي طبقها النازيون ضد اليهود

في أوروبا: أولاً، تجريدهم من إنسانيتهم، ووصفهم *بالجرذان*؛ ثم قمعهم، كما يقمع الجرذان. لا يعتبر أي من هذا معاداة للسامية، والشيطان وحده يعلم السبب.

مفارقة مأساوية أخرى. هذا التماهي بين اليهودية والسمية ودولة إسرائيل قد شوه سمعة اليسار في جميع أنحاء العالم (إن لم يكن جرمه)، وجعله الهدف الرئيسي لاتهامات معاداة السامية. أي موقف إنساني لا يرى أي فرق في القيمة والحق بين حياة فلسطيني وإسرائيلي ويحتج علناً عليه يتم تصنيفه تلقائياً على أنه *معاداة للسامية*.

لقد وصلنا إلى هذا الحد من العبثية. في الوقت نفسه، أصبحت اليمين المتطرف معاقل مؤيدة لإسرائيل. يكفي أن ننظر إلى اليمين المتطرف في الولايات المتحدة مع تفوقه الأبيض، وحتى مع مختلف الجماعات النازية الجديدة، الأبطال التاريخيين لمعاداة السامية. أو اليمين المتطرف في البرازيل، مثل عشيرة الرئيس السابق بولسونارو، المهووسة بالأعلام الإسرائيلية وقضيتها الإنجيلية – كل شيء يعود إلى الأصل. أو المرشح للرئاسة في الأرجنتين، اليميني المتطرف خافيير ميلي، الذي يرفع أعلام إسرائيل في فعالياته السياسية. أو في الوقت الذي يتظاهر فيه ملايين الأشخاص في جميع أنحاء العالم احتجاجًا على المذبحة في غزة، في باريس، تنظم مارين لوبان، الزعيمة التاريخية لليمين المتطرف الفرنسي المكون من النازيين الجدد والفاشيين، وجوردان بارديلا، رئيس حزب اليمين المتطرف التجمع الوطني، مسيرة "ضد معاداة السامية" ضد أولئك الذين يجرؤون على إدانة وحشية رابع أقوى جيش في العالم ضد سكان مدنيين لا جيش لهم ولا حق في أي شيء.

المفارقة هي تناقض ظاهري مع منطق أساسي صارم. من الواضح أن الذعر الحالي للإمبراطوريات المتدهورة لا يقتصر على اليمين المتطرف. سيلين بينا، المساعدة البرلمانية في مجلس الشيوخ الفرنسي،

والناشطة في *الحزب الاشتراكي* (PS)، التي قارنت في عام 2016 الحجاب الإسلامي بسوار نازي، اتخذت موقفًا طبيعيًا في صراع غزة. منطقها هو نسخة طبق الأصل من كل الإمبراطوريات الغربية التي دمرت وقتلت مئات الملايين من الآسيويين والأفارقة والأمريكيين اللاتينيين، دائماً باسم الحضارة والعالم الحر، ومرة أخرى ضد غزو الأعراق الدنيا: *"قنبلة تنفجر وتدمر وتسبب أضراراً جانبية، ستقتل بلا شك أطفالاً (فلسطينيين). لكن هؤلاء الأطفال لن يموتوا وهم يشعرون أن الإنسانية قد خانتهم. كل ما كانوا عليه، لهم الحق في أن يتوقعوه. ما هو مروع هنا هو تخيل أن الأطفال (الإسرائيليين) في سن 8 و9 و10 سنوات، وأن هؤلاء النساء المسكينات ماتن وأخير صورة في أذهانهن صورة من اللاإنسانية والفظاعة والازدراء لما كن عليه. هنا تكمن الجريمة ضد الإنسانية*". واتفق جميع المشاركين في البرنامج التلفزيوني الفرنسي معها.

وفقًا للفيزيائي هاجو ماير، الناجي من أوشفيتز واليهودي المناهض للصهيونية، "يتم تدريس العنصرية ضد الفلسطينيين في مدارس إسرائيل، ويتم تلقينهم مبادئ الدولة والدم والأرض، تمامًا كما علموني النازيون في ألمانيا. الصهيونية هي أيديولوجية قومية وعنصرية واستعمارية". في عام 2006، اتُهم ماير بمعاداة السامية في ألمانيا من قبل لمقارنته الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية بالنظام النازي.

شعب مختار آخر

وفقًا لاستطلاع أجرته مؤسسة PEW، يعتقد 70 في المائة من الإسرائيليين أنهم شعب مختار من الله. و 17 في المائة لا يؤمنون بالله أصلاً. من الواضح أن هذا الاختيار قد حدث منذ آلاف السنين، ولكن، إذا حكمنا من خلال المعتقدات والسياسات المفروضة بقوة طائرات F–35 Lightning المقاتلة، فإن هذه التفضيلات قد تكون وراثية. ووفقاً لنفس الاستطلاعات، فإن 17 في المائة من الإسرائيليين لا يؤمنون بالله، ولكن هذا تفصيل ثانوي.

فكرة الانتماء إلى شعب مختار لا تختلف كثيرًا عن فكرة كون المرء نبيًا مختارًا من الله أو، أكثر من ذلك، ابنًا لله. ومع ذلك، من وجهة نظر أخلاقية واجتماعية، هناك اختلافات هائلة في تعاليمهم وممارساتهم.

لنأخذ الأمر جزءًا جزءًا. فكرة النبي التي تهيمن على العالم تضرب بجذورها في الثقافة اليونانية: النبي هو الذي يستطيع التنبؤ بالمستقبل. في العهد القديم، لم يكن للأنبياء أي علاقة بهذا الأمر. النبي هو الذي يجرؤ، دون خوف أو تملق، على توجيه انتباه شعبه إلى خطاياه الأخلاقية. كان أنبياء مثل عاموس واضحين في انتقادهم لجشع الطبقة الحاكمة وللاخلاقية الاجتماعية. بالنسبة لجزء كبير من التقاليد المسيحية، يسوع هو ابن الله، ولكن ليس من الصعب فهمه أيضًا على هذا المنوال. كان يسوع أيضًا نبيًا لم يتوانَ عن انتقاد الذنوب الأخلاقية ونفاق شعبه. ولسبب ما، أُعدم كالمجرمين العاديين، جنبًا إلى جنب مع اثنين آخرين من مجرمي ذلك العصر، على يد الإمبراطورية آنذاك والمتعاونين معها من أبناء البلد.

الآن، اعتُبرت ادعاءاته بأنه ابن الله في ذلك الوقت متعجرفة للغاية، كما هو الحال في الواقع عندما يعتبر شعب ما نفسه "شعب الله المختار". فكرة مقترحة في الكتاب الخامس والأخير من التوراة، سفر التثنية، عندما كان المصري موسى يعد شعبه لدخول أرض الميعاد. في الواقع، كُتب هذا الكتاب بعد قرون من الدخول العنيف وغزو أرض كنعان.

ومع ذلك، في حالة يسوع، لم تترجم ادعاءاته إلى حق خاص في قمع الشعوب الأخرى، بل على العكس من ذلك. إلى جانب التوصية بالحب الديمقراطي وغير التمييزي، بما في ذلك حب أعدائه، أكد يسوع أنه جاء ليضحي بنفسه من أجل خطايا الآخرين. سواء كانت أسطورة أم حقيقة، فإن هذه الفكرة لا تنطوي على أي أنانية أو إبادة جماعية، بل على العكس تمامًا.

تنشأ المشكلة عندما تتضمن غطرسة اعتبار *الشعب شعبًا مختارًا* من قبل (إلهه) *حقوقًا* خاصة، بالإضافة إلى الحق في اضطهاد شعب آخر. وهي ادعاءات، من الناحية التاريخية، ليست شيئًا خاصًا أو حصريًا للغاية.

فكرة "الشعب المختار من الله" كانت هي القاعدة في جميع الروايات القومية لعدد كبير من الثقافات الأخرى. على سبيل المثال، أمر هويتزيلوبوتشلي، إله الحرب لدى المكسيكيين (الذين أصبحوا لاحقاً الأزتيك)، شعبه المختار بالقيام بهجرة جماعية نحو الجنوب بحثاً عن الأرض الموعودة. وحيثما رأوا نسرًا يقتل ثعبانًا على صبار فوق بحيرة، كان عليهم أن يستولوا على الأرض. بالطبع، كانت هذه الأرض مأهولة بالفعل، فكان لا بد من تطبيق قاعدة الإخلاء بأمر إلهي، انطلاقًا من قناعة أنهم *الشعب المختار*.

في قارة أخرى، حتى لا أطيل أكثر من اللازم، تؤمن الديانة التقليدية لشعب الماساي في شرق إفريقيا أن الإله الأعلى والوحيد، نجاي، قد

اختارهم لرعي كل ماشية العالم. وبطبيعة الحال، استُخدمت هذه العقيدة لتبرير سرقة الماشية من القبائل الأخرى.

حتى لو قبلنا ما هو غير مقبول (أن يكون لشعب ما حقوق خاصة على شعب آخر لكونه مختارًا من قبل إلهه)، فمن الممكن أن نسأل أنفسنا: هل كونك مختارًا من قبل الله يعني أنك تمتلك الحق في قمع الآخرين والتحكم فيهم؟ هل خالق الكون هو قومي بربري يكره بقية مخلوقاته؟

وفقًا لـ "إعلان مبادئ اليهودية المحافظة" الصادر عن الجمعية الحاخامية للكنيس اليهودي الموحد في أمريكا، الذي عقد في عام 1988 في نيويورك، فإن كون الشعب مختارًا من قبل الله "بعيدًا عن كونه ترخيصًا لامتياز خاص، فإنه ينطوي على مسؤوليات إضافية، ليس فقط تجاه الله ولكن أيضًا تجاه إخواننا... إنها تلزمنا ببناء مجتمع عادل ورحيمة في جميع أنحاء العالم، وخاصة في أرض إسرائيل".

لا أعرف أي حالة لشعب أنشأ دينًا وادعى أن الشعب المختار من قبل إلهه هو جيرانه. إن قيام المسيحيين القوقازيين بقول ذلك يرجع إلى أن دينهم الجديد نشأ من نفس التقاليد، من نفس الكتب العبرية. من الواضح أنهم لن يتخلوا عن المعيار القديم الذي يعتبرهم، بدورهم، الشعب المختار. استولى المسيحية على هذا الامتياز المتمثل في كونها المفضلة لدى الله من خلال شيطنة الشعب المختار الأصلي: هنا يكمن معاداة السامية الحقيقية.

في مقابلة عام 1981، قال الباحث في الأساطير جوزيف كامبل إن فكرة الشعب المختار كانت بالنسبة له "أسطورة عفا عليها الزمن من زمن آخر" حيث يكتسب البطل طابعًا جماعيًا. تم اتهامه بمعاداة السامية.

"لدينا الحق في الدفاع عن أنفسنا ضد الإرهابيين"

هذا الحق لا ينطبق على المحتلين بل على المحتلين. كما قال الصحفي الإسرائيلي جيديون ليفي، "لا أعرف في التاريخ أي قوة احتلال قدمت نفسها على أنها ضحية للمحتلين".

وزير التراث الإسرائيلي، أميتشاي إلياهو، يفكر بشكل مختلف: "كل من يرفع علم فلسطين لا يجب أن يعيش على هذا الكوكب". قبل أيام، كان قد اقترح إلقاء قنبلة ذرية على غزة، على الرغم من أن إسرائيل تصر على أنها لا تمتلك مثل هذه الأشياء أو لا تعرف كم لديها منها.

تعترف إعلان الأمم المتحدة (قرار الجمعية العامة 43/37، 1982) وتؤكد *شرعية نضال الشعوب من أجل الاستقلال والسلامة الإقليمية والوحدة الوطنية والتحرر من الاستعمار والسيطرة الأجنبية بجميع الوسائل المتاحة، بما في ذلك الكفاح المسلح*". ومع ذلك، فإن أي مقاومة من قبل الشعوب الأصلية، أي مقاومة فلسطينية، كانت دائماً توصف من قبل وسائل الإعلام الأقوى بأنها "إرهابية". وهو بالضبط نفس التمييز الذي منحته الولايات المتحدة و وإنجلترا لعقود من الزمن لنيلسون مانديلا والكونغرس الوطني الأفريقي لتخريبهم نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، وهو نظام عنصري وقمعي وصفه رونالد ريغان في عام 1982 بأنه "حليف للعالم الحر". نيلسون مانديلا نفسه، في زيارته لغزة عام 1999، كان واضحاً عندما تذكر نضاله ضد الفصل العنصري: "يجب أن نختار السلام بدلاً من المواجهة، إلا عندما لا يكون هناك مخرج؛ عندها، إذا كان العنف هو الخيار الوحيد، فسوف نلجأ إلى العنف".

ألا يحق للفلسطينيين الدفاع عن أنفسهم بالسلاح؟ لماذا لا؟ قالت الحكومة الإسرائيلية إن 11 ألف قتيل بريء في غزة (حتى الآن) ليسوا

أبرياء. وأن القصف المكثف للمستشفيات يرجع إلى وجود أنفاق لحماس تحتها، وهذا يبرر مذبحة الأبرياء الذين يعالجون هناك، بل إنها تؤكد أنه "لا يوجد أبرياء". لماذا لا يمكن لحماس أن تقول الشيء نفسه، خاصةً بالنظر إلى أن الإسرائيليين يخضعون للخدمة العسكرية الإلزامية وعادةً ما يكونون مسلحين ببنادق AK-47 أو ما شابهها حتى عندما يذهبون للتسوق في *مراكز التسوق* الحديثة والأنيقة؟

بالنسبة إلى إنساني، من المحبط أن هذه المنطقية يمكن تطبيقها على هذا الجانب أو ذاك من الحدود اللعينة. في الواقع، هناك مبدأ أساسي ينص على أن القانون يكون أخلاقياً عندما نطالب به ل نا ونوسعه ليشمل الآخرين. هذا ليس هو الحال بالنسبة للمتعصبين الذين يعتبرون أنفسهم يتمتعون بحقوق خاصة لكونهم مختارين من الله. هذا ليس هو الحال بالنسبة للأقوياء الذين يمارسون كل يوم وحشيتهم التي لا يمكن الوصول إليها على "الحيوانات ذات القدمين". عندما يمارسها هؤلاء الحيوانات، فإنها تكون إرهاباً، وأولئك الذين لا يعانون من هذه الوحشية، ولكن لديهم الحد الأدنى من الشجاعة للتشكيك في هذه المنطق الإبادة الجماعية، يتم شيطنتهم تلقائياً على أنهم "معادون للسامية" أو "مدافعون عن الإرهاب". هذا، إلى جانب الإرهاب الحكومي، هو إرهاب نفسي وإعلامي يمارس على نطاق واسع في الإمبراطوريات الحديثة التي أصابها الشيخوخة.

بالنسبة للمتعصبين العنصريين، "نحن مميزون". نحن "بشر حقيقيون"، وهم، "الفلسطينيون، حيوانات" يجب إبادتهم. هذا ليس تفسيراً. لقد قالها رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو صراحة في إحدى رسائله التلفزيونية، مستشهداً بشعب دمر قبل ألفي عام ونصف، وفقاً للتقاليد التوراتية، وهو شعب عماليق: *"اذهب، هاجم عماليق ودمر كل ما لديه، ولا ترحمه؛ اقتل الرجال والنساء، والأطفال والرضع، والثيران والأغنام، والإبل والحمير"* (1 صموئيل 15:3). يؤكد خبراء النصوص التوراتية أن أمالك لم تكن موجودة أبدًا، ولكن هذا تفصيل غير ذي صلة

بالموضوع. كما هو الحال مع معظم الحجج التي تستند إلى التلاعب الديني لترسيخ الحق الدولي لشعوب في قمع شعوب أخرى.

فيتنامنا

بعد وقت قصير من بدء التدمير المنشود لغزة من قبل رئيس وزراء يواجه اتهامات بالفساد والانقلاب القضائي والبرلماني، حذر نتنياهو إيران عبر التلفزيون قائلاً: "أفضل ما يمكنكم فعله هو التزام الصمت".

من أين تأتي هذه الغطرسة الجيوسياسية سوى من القوة العسكرية والمالية التي لا تزال مبنية على النظام القديم للإمبراطوريات الحديثة المحتضرة؟ خلال الأيام الأولى من المذبحة الفلسطينية الجديدة، أطلق الغرب سراح 16 مليار دولار من الأموال الإيرانية، التي كانت محتجزة في الولايات المتحدة، حتى لا يتدخل هذا البلد في ما لا يعنيه.

هناك العديد من الأسباب الخارجية الأخرى وراء مأساة آلاف الأطفال الذين ذُبحوا في غزة وحدها. هناك تكهنات لم تثبت صحتها بعد (وهي في رأيي ضعيفة بعض الشيء) بأن إسرائيل تريد استئناف مشروع قناة بن غوريون. تمت دراسة هذا المشروع وتفصيله في الخمسينيات، وكان يهدف إلى ربط شمال غزة بالبحر الأحمر بقوة القنابل الذرية للتنافس مع قناة السويس، التي أممها جمال عبد الناصر في عام 1956، مما أدى إلى صراع طويل. في ذلك الوقت، هاجمت بريطانيا و وإسرائيل مصر لاستعادة السيطرة على القناة. وفقًا لنتنياهو، فإن مشروع ربط الحدود الشمالية لغزة بالبحر الأحمر سيكون في الواقع خط سكة حديد عالي السرعة. من يدري.

هناك تكهنات أخرى، مدعومة بأدلة أكثر واقعية، تشير إلى اكتشاف الغاز والنفط على سواحل غزة. والأكثر احتمالاً هو التفسير الذي قدمه المرشح الحالي للرئاسة الأمريكية، الديمقراطي روبرت كينيدي جونيور: "إسرائيل هي حصن لنا... إنها أشبه بحاملة طائرات في الشرق الأوسط. إذا اختفت إسرائيل، فستسيطر روسيا والصين ودول البريكس على 90

في المائة من النفط في العالم، وسيكون ذلك كارثة على الأمن القومي للولايات المتحدة". تكمن قوة هذا الحجة في أنها كافية.

قبل أشهر، ذكرنا "زلزالاً جيوسياسياً" لم تسجله وسائل الإعلام الكبرى. لا داعي لأن تكون ذكياً جداً لتدرك أن إعادة تشكيل القوة الجيوسياسية من الغرب إلى الشرق ستؤدي إلى إعادة تشكيلات وصراعات مختلفة، من أفريقيا وأمريكا اللاتينية إلى حرب الناتو المنسية حالياً في أوكرانيا. كان الصراع الإسرائيلي–الفلسطيني عاملاً أساسياً منذ ما يقرب من قرن من الزمان، وسيكون أكثر أهمية في المستقبل.

من المرجح جدًا أن تكون أجهزة الاستخبارات الأمريكية والأوروبية والإسرائيلية على علم بهذه المعلومة الساخنة. لا أعتقد أن هناك مجالًا للشك في ذلك. وستكشف الوثائق التي سيتم رفع السرية عنها بحلول ذلك الوقت، إن بقيت أي منها، أن الفكرة والهدف الأكثر إلحاحًا هو التالي: سيكون من الصعب جدًا التلاعب بالعالم لصالحنا في عام 2040؛ لذا، فلنفعل ما يمكننا فعله الآن، أو نتخلى عن أهدافنا إلى الأبد. ومن بين هذه الأمور الملحة استخدام وإساءة استخدام إنتاج الدولار قبل أن يتم التخلي عن العملة الخضراء كعملة عالمية وملاذ للخوف الأجنبي. قبل أن تؤدي إساءة استخدام المورد الذي أطلقه ريتشارد نيكسون في عام 1971 إلى تضخم أكبر من ذلك الذي حدث في السبعينيات، في البلد الذي يصدر ويدير العملة الوهمية لإبقاء البقية في حالة من المديونية والإنتاج.

الصراع الإسرائيلي–الفلسطيني هو أحد هذه الأهداف العاجلة قبل فقدان السيطرة المطلقة. أي أننا في سيناريو متعدد "الحلول النهائية"، على غرار ألمانيا التي خسرت الحرب العالمية الثانية، ولكن على نطاق أوسع بكثير وعلى مدى فترة زمنية أطول. كحل للأزمة الإنسانية في غزة، تقترح إسرائيل، دون خجل، أن يتم استقبال الفلسطينيين الناجين من

المذبحة كلاجئين ( ) في بلدان أخرى، مؤكدة بذلك الخطة الأصلية لتطهير المنطقة من هؤلاء الحيوانات المزعجة.

وكما هو معتاد، تُباع الاستطلاعات المزورة كالخبز الساخن. لا يقتصر دور المتلاعبين على اختراق آراء الشعوب فحسب، بل عندما لا تكون هذه الآراء كما هو متوقع، يخترقون النتائج. بعضها عادة ما يكون أكثر موثوقية بسبب شفافية منهجيته. كشفت إحدى هذه الاستطلاعات التي أجراها معهد الناخبين اليهود (JEI) بين الناخبين اليهود في عام 2021 أن ربع المستطلعين اتفقوا على أن إسرائيل دولة فصل عنصري. بحلول عام 2023، وفقًا لـ PEW، لم يؤيد غالبية اليهود الأمريكيين المساعدة غير المشروطة لإسرائيل، وكانوا على استعداد لدعم مليارات الدولارات التي ترسلها واشنطن كل عام إلى تل أبيب بشرط ألا تستخدم هذه المساعدة لتعزيز الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية. كما يقول المثل، الطريق إلى الجحيم مرصوف بالنوايا الحسنة.

نتيجة للمذبحة المستمرة للغزاويين، نظمت مجموعات يهودية مختلفة مسيرات احتجاجًا على وحشية إسرائيل. تم اعتقال العشرات الذين تظاهروا في نيويورك ضد مقتل أكثر من عشرة آلاف شخص في غزة. وعُقل عشرات آخرون من *أعضاء منظمة* "يهود من أجل وقف إطلاق النار" (*Jews For Ceasefire*) بسبب احتجاجهم أمام القنصلية الإسرائيلية في شيكاغو ( ). ومن بين هذه الجماعات اليهود الحسيديون المناهضون للصهيونية.

ستكون فلسطين فيتنام الجيل الجديد في الغرب. مثل فيتنام، لن تغير الجغرافيا السياسية العالمية، لأنها ستسلك طرقًا أخرى، لكنها ستغير الطريقة التي ينظر بها جيل ما إلى السرد السائد. سيستغرق التغيير

الجذري وقتًا أطول وسيحدث مع التوازن أو عدم التوازن الجيوسياسي الجديد اعتبارًا من منتصف هذا القرن. بل قبل ذلك.

نازيو عصرنا لا يرتدون شوارب

إنها لمفارقة تاريخية مأساوية أن أولئك الذين أدانوا منذ البداية الأعمال الحربية لحماس والحكومة الإسرائيلية يتهمون بأنهم يؤيدون *الإرهاب* من قبل أولئك الذين يدينون حماس فقط ويبررون الإرهاب الجماعي والتاريخي والمنهجي للحكومة الإسرائيلية.

لحسن الحظ، كان لدى مئات الآلاف من اليهود (خاصة في نصف الكرة الشمالي) الشجاعة التي لم يتحلوا بها الإنجيليون أو العلمانيون المتحفظون سياسياً والمتوقعون، للخروج إلى الشوارع ومراكز السلطة العالمية لتوضيح أن *دولة إسرائيل واليهودية ليسا نفس* الشيء، وهو لبس أساسي واستراتيجي ووظيفي يكمن في صميم الصراع ولا يفيد سوى قلة قليلة بمساعدة متعصبة وجاهلة من الكثيرين الآخرين.

في الواقع، أكد عشرات الآلاف من اليهود الذين يدرسون الكتب المقدسة لليهودية مثل التوراة أن اليهودية معادية للصهيونية. سيقول الكثيرون أن هذا أمر يخص الآراء، لكنني لا أرى لماذا يجب أن تكون آراؤهم أقل أهمية من آراء بقية الدجالين المحاربين.

لقد كان هذا الشعب اليهودي، الذي يعلم أن تعايشه مع المسلمين كان، على مدى قرون، أفضل بكثير من هذه المأساة الحديثة، هو الذي هتف في واشنطن ونيويورك "ليس باسمنا"، "أوقفوا إبادة الفصل العنصري"، وفي حالات عديدة تم اعتقالهم لممارستهم حرية التعبير، التي كانت في الديمقراطيات الإمبريالية دائماً حرية أولئك الذين لم يكونوا مهمين بما يكفي لتحدي السلطة السياسية، كما يتضح، على سبيل المثال، من حرية التعبير في عصر العبودية. لكن هؤلاء سيحظون بالكرامة التي تمنحها لهم التاريخ.

عندما تعود الكهرباء إلى غزة ويكتشف العالم ما فعله أحد أقوى الجيوش النووية في العالم، بتواطؤ من أوروبا والولايات المتحدة، بحي غيتو لا جيش له وشعب لا يملك أي حق سوى الحق في التنفس، عندما

يستطيع، سيكتشف أن هناك ليس الآلاف بل عشرات الآلاف من الأرواح التي لا تقل قيمة عن أرواحنا، سحقتها الكراهية العنصرية والميكانيكية لأناس مرضى، وبعضهم يتمتعون بنفوذ سياسي وجيوسياسي وإعلامي ومالي كبير، وهو ما يحكم العالم في نهاية المطاف. بطبيعة الحال، ستحاول الدعاية التجارية إنكار ذلك. لكن التاريخ لن يستطيع. سيكون قاسياً، كما هو الحال عادةً عندما لا تكون الضحايا مصدر إزعاج بعد الآن.

سيصمت الكثيرون، خائفين من العواقب، ومن القوائم السوداء (صحفيون بلا عمل، طلاب بلا منح دراسية، سياسيون بلا تبرعات، كما أفادت وسائل إعلام مثل نيويورك تايمز)، ومن الوصمة الاجتماعية التي يعانيها وسيعانيها أولئك الذين يجرؤون على القول إنه لا توجد شعوب أو أفراد مختارون من قبل الله أو الشيطان، بل مجرد ظلم من قبل السلطة الجامحة.

أن حياة الإنسان تساوي نفس قيمة أي حياة أخرى.

أن الشعب الفلسطيني (الذي يبلغ عدد سكانه ثمانية أضعاف سكان ألاسكا، وأربعة أو خمسة أضعاف سكان ولايات أخرى في الولايات المتحدة) المحصور في منطقة غير صالحة للعيش، له نفس الحقوق التي يتمتع بها أي شعب آخر على سطح الكرة الأرضية.

أن الفلسطينيين، رجالاً ونساءً وأطفالاً، الذين سحقهم القصف العشوائي بالقنابل، ليسوا "حيوانات على قدمين"، كما يزعم رئيس الوزراء نتنياهو (لو كانوا كلاباً لكانوا على الأقل يعاملون معاملة أفضل). كما أن الإسرائيليين ليسوا "شعب النور" الذي يحارب "شعب الظلام".

الفلسطينيون ليسوا إرهابيين لأنهم ولدوا فلسطينيين، بل هم أحد الشعوب التي عانت أكثر من غيرها من التجريد من الإنسانية والحصار المستمر والسرقة والإذلال والقتل دون عقاب منذ ما يقرب من قرن.

لكن هؤلاء، الذين يجرؤون على الاحتجاج على مذبحة تاريخية، واحدة من بين العديد من المذابح، هم، يا للصدفة، المتهمون بدعم الإرهاب. لا شيء جديد . هكذا تصرف الإرهابيون الحكوميون دائماً في جميع أنحاء العالم، على مر التاريخ وتحت أعلام من جميع الألوان.

فلسطين: التجريد التاريخي (والاستراتيجي) لشعب من إنسانيته[1]

في 4 ديسمبر 1832، ألقى الرئيس أندرو جاكسون، المعروف (حيث كان معروفًا جيدًا) بلقب قاتل الهنود، خطابًا جميلًا في الكونغرس الأمريكي. *قال: "لا شك أن مصلحة الجمهورية هي أن يتم احتلال الأراضي الجديدة في أسرع وقت ممكن. ثروة وقوة أي بلد تكمن في سكانه، وأفضل جزء من هؤلاء السكان هم المزارعون. المزارعون المستقلون هم، في كل مكان، أساس المجتمع وأصدقاء الحرية الحقيقيون... هُزم الهنود هزيمة نكراء وطُردت أو دُمرت عصابة الساخطين... على الرغم من أننا اضطررنا إلى التصرف بقسوة، إلا أن ذلك كان ضروريًا؛ فقد هاجمونا دون أن نستفزهم، ونأمل أن يكونوا قد تعلموا الدرس الصحي إلى الأبد*".

"لقد هاجمونا دون أن نستفزهم"، "لقد تعرضنا للهجوم أولاً"، "كان علينا الدفاع عن أنفسنا..." ستتكرر هذه العبارات على مدى القرون القادمة وستحرك، بتهور شديد، ملايين وملايين من الوطنيين.

بعد قرن ونصف، في مايو 1971، قال جون واين، أشهر ممثل ومنتج *أفلام الغرب* الأمريكي، وداعية تفوق العرق الأبيض ومحب الأسلحة، في مقابلة مع مجلة *بيبول* إن محميات الهنود في الولايات المتحدة كانت شرًا اشتراكيًا. وقال إن لا أحد مسؤول عما حدث في

---

[1] مايو 2021

الماضي، عندما "*كان هناك الكثير من الناس الذين يحتاجون إلى الأراضي وكان الهنود يريدون الاحتفاظ بها بطريقة أنانية*".

لم تكن هذه قبائل متفرقة، بل أمم منظمة، مكتظة بالسكان مثل المستوطنين الذين كانوا يدافعون عن حدودهم الخاصة، لكنهم كانوا يتجاوزون حدود الآخرين بلا حدود، وكان كلا الأمرين يتم بفخر وتطرف وطني. لم تكن حياة الأعراق الدنيا ولا المعاهدات المتعددة الموقعة مع أولئك الذين يمتلكون أراضي أكثر جاذبية من نسائهم تهم أحداً. بلد القوانين انتهك جميع القوانين، حتى قوانينه الخاصة عندما حاول نهب بعض الممتلكات المادية من جاره. فعل كل ذلك باسم الحرية والديمقراطية والله وبعض التفسيرات الكتابية الملتوية، مثل أسطورة القدر المحتوم.

لن يتمكن الهنود من استخدام الكتاب المقدس للمطالبة بأن الأراضي ملكهم لأن أسلافهم امتلكوها لقرون، ولن يتمكن السود من المطالبة بتعويض عن بناء بلد وهيكل أبقى على الغيتوهات والتمييز والامتيازات العرقية حتى يومنا هذا. ولن يستطيع اللاتينيون المطالبة بمئات الأطنان من الذهب وآلاف الأطنان من الفضة التي أثرت أوروبا ولا تزال مودعة في البنوك المركزية من أجل استقرار تنمية الحضارات. ناهيك عن التفاصيل مثل الغوانو أو إرث المجتمعات المثيرة للشفقة في أمريكا اللاتينية، التي ترسخت في بنية وثقافة وعقلية استعمارية ومستعمرة.

الصراع الفلسطيني–الإسرائيلي لا يختلف كثيراً، لأن الطبيعة البشرية لا تختلف. كما لا تختلف استراتيجية الخلط بين اليهودية والشعب اليهودي الذي عانى على مر القرون، وبين دولة إسرائيل وجهازها الدعائي القوي، الذي هو أكثر إثارة للإعجاب من قوتها العسكرية التي تقدر بمليارات الدولارات، والمدعومة بمليارات الدولارات سنوياً من خزائن واشنطن. ويسقط الكثيرون في فخ الأعلام، خائنين تاريخاً مأساوياً يمتد لآلاف السنين من معارضة القوى الحاكمة – ومعاناتها. ينسون، على سبيل المثال، أن واحدة من أطول وأكثر فترات ازدهار الشعب

اليهودي في أوروبا كانت بفضل حماية المسلمين في إسبانيا على مدى ما يقرب من ثمانية قرون، والتي انتهت بطردهم واضطهادهم عندما هزم المسيحيون حاميتهم العرب في عام 1492. تسامح الإسلام مع اليهود وقبلهم على الرغم من أنهم لم يعترفوا بيسوع (المقدس في الإسلام) كنبي حقيقي. أما المتعصبون المسيحيون فلم يفعلوا ذلك. لم يتسامحوا مع أي من الطرفين: أحدهما لاعتقاده بمحمد والآخر لعدم إيمانه بيسوع.

لا يقع الجميع في الفخ. أصدقائي اليهود الذين لا حصر لهم، على سبيل المثال، مثقفون وأذكياء للغاية بحيث لا يصدقون هذه الحيلة. وينطبق الشيء نفسه على العديد من الجاليات اليهودية في أوروبا والولايات المتحدة، التي لديها الشجاعة لرفض الفصل العنصري في الشرق الأوسط، "ليس باسمنا". في أمريكا اللاتينية، الموقف مختلف، ربما للأسباب نفسها التي تدفع طبقتها الحاكمة إلى تلميع النصب التذكارية دون قراءة أسمائها. الالتباسات القومية استراتيجية وتخدم دائماً، مثل وطنية المستوطنين، من هم في الأعلى.

في الصراع الأخير في كانانيا (وهو مجرد اشتباك صغير مقارنة بقائمة المآسي التي لا تنتهي منذ القرن العشرين)، قُتل 30 فلسطينياً وثلاثة إسرائيليين في غضون يومين. وكالعادة، ثلث القتلى الفلسطينيين هم من الأطفال، لكنهم يقولون إنهم كانوا إرهابيين. لم يتأخر رؤساء مثل رئيس أوروغواي لاكال بو في إبداء موقفهم. بطيئين في كل شيء تقريبًا، لم يترددوا في إبداء تضامنهم مع جانب واحد فقط من الصراع. جانب الأمن. لا داعي للقول إن هذا الجانب ليس هو الذي تسبب في أكبر عدد من القتلى، لأن هذه هي التقاليد في غزة، أكبر غيتو في العالم، وتقاليد العديد من المسيحيين التي من شأنها أن تخجل المعلم نفسه الذي يقولون إنهم يتبعونه: أن يكونوا قاسيين مع من هم في الأسفل ولينين مع من هم

في الأعلى. من المؤلم جدًا أن نعيش ونحن ندافع عن الأقوى، لدرجة أننا نشعر بالخجل من أنفسنا.

المنطق واضح: الحق في الدفاع عن النفس لا ينطبق إلا على بعض الشعوب؛ وليس على الجميع.

الحق في أن يكون للمرء بلد، بقوانينه ومؤسساته المستقلة، لا ينطبق إلا على شعب واحد.

تضامن الأقوياء وخدمهم لا ينطبق إلا على شعب واحد.

وكأن ذلك لم يكن كافياً، يتم تطبيق نفس الصيغة المعتادة: يتم قطع تاريخ الهجمات وردود الفعل من الجانب الأكثر ملاءمة ويتم تسمية الاستفزاز والمضايقة والقمع بالدفاع.

بالطبع، كل حياة تزهق هي أمر مؤسف. من الجانبين. ولكن لهذا السبب بالذات، أيها السادة. لهذا السبب بالذات، أيها الرؤساء، نريد أن نعرف: ألا وجود للفلسطينيين، الأطفال والرجال والنساء؟ ألا يتضامن معهم سوى الرجال والنساء العاديون؟ هل من الصعب أن نتحلى بقليل من الكرامة الإنسانية وننسى الأعلام وأن البعض لا يزال يقتل باسم الله ولأسباب أكثر مادية؟

لا، بالطبع، الفلسطينيون لم يكونوا موجودين أبداً. إنهم يتمتعون بوضع مزدوج، فهم إرهابيون دائماً ولم يكونوا موجودين أبداً. إنها حقيقة وجودية حقيقية.

أيها السادة في السلطة العقيمة والمخزية الحالية: لا أسألكم عما تخافونه لأن ذلك أمر واضح للغاية. ومن الواضح أيضاً أنكم لا تهتمون بذلك عندما تختارون جانب القوة والأمن، ولكن اعلموا أن التاريخ سيكون قاسياً.

إذا كنتم تهتمون بالتاريخ، ولكن الكتاب المقدس يثقل كاهلكم، تخيلوا للحظة أن يسوع كان بإمكانه أن ينجو من أن يصبح متمرداً آخر أعدمه

الإمبراطورية الحاكمة. كان عليه فقط أن يتضامن مع بيلاطس البنطي، والفريسيين، ومعلمي الشريعة، ومع جلالة الإمبراطور والجنرال تيبيريوس.

هبة أبو ندا قُتلت اليوم

كانت هبة أبو ندا، إحدى أكثر الشاعرات والروائيات النسويات موهبة في غزة، مؤلفة رواية "الأكسجين ليس للموتى". كتبت أمس 21 أكتوبر: "إذا متنا، فاعلموا أننا راضون وثابتون، وأخبروا العالم، نيابة عنا، أننا أناس عادلون/في صف الحقيقة". آخر قصائدها، التي كتبتها أمس قبل أن تُقتل في خضم الإبادة الجماعية التي ترتكبها إسرائيل ضد فلسطين، تقول:

الليل في المدينة مظلم
باستثناء وهج الصواريخ
صامتة
باستثناء صوت القصف
المخيف
باستثناء الوعد المطمئن بالصلاة
سوداء،
باستثناء نور الشهداء.
طيباً ليلتكم.

جوجل ويوتيوب ومورالفير[2]

في مارس 2022، بعد شهر من بدء الحرب في أوكرانيا، حذرت شركة جوجل العملاقة، مالكة يوتيوب، منتجي المحتوى (على الرغم من حقوقهم الشكلية، فهم الموظفون الرئيسيون في المنصة العملاقة؛ الذين يحصلون على ما لا يقل عن 1000 مشترك و 4000 ساعة مشاهدة يحصلون على أول دولار) بأن يكونوا حذرين في منتجاتهم السمعية البصرية وأن يمتنعوا عن التعبير عن أي فكرة أو رأي *"يستغل أو يرفض أو* يوافق" على الحرب في أوكرانيا.

وبطبيعة الحال، لم يتم تطبيق أي من هذه التحذيرات على الحروب التي قادتها منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو)، ولا حتى الحروب الأكثر حداثة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. على العكس من ذلك، فإن الغزو الوحشي للعراق على أساس "معلومات كاذبة" وروايات للأطفال، والذي خلف مليون قتيل وملايين النازحين ونصف قارة غارقة في أكثر الفوضى عنفًا التي يمكن تخيلها، قد حظي بدعم هذه الوسائل الإعلامية نفسها على أساس، على سبيل المثال، قانون "*باتريوت*" ( ) الذي تمت الموافقة عليه في واشنطن في أكتوبر 2001، الذي لم يسمح حتى بنشر صور القتلى من أبناء البلد العائدين إلى الوطن أو القتلى من الأجانب الذين غرقوا في النسيان؛ من ناحية أخرى، كان مطلوبًا أن يكون كل تقرير "من مكان الحدث" مصحوبًا بإشارة متكررة إلى هجوم البرجين

---

[2] أكتوبر 2022

التوأمين. ناهيك عن الحروب الأكثر حداثة، والمذابح، والقصف المنهجي بالطائرات بدون طيار، وعمليات القتل التي يتم إخفاؤها عن الرأي العام، والتمردات التي يتم إثارة أو اختطافها، واغتيالات الدكتاتوريين أو قادة المتمردين، مثل معمر القذافي، والمزيد من الانتهاكات المستمرة لحقوق الإنسان من قبل الحكومات القوية، مثل الانتهاكات والإبادة الجماعية للشعوب في اليمن وسوريا وفلسطين.

كانت هناك طريقة خفية وفعالة للغاية لفرض الرقابة على صغار وكبار منتجي المحتوى الثقافي أو الترفيهي أو الإخباري على YouTube، وهي أفضل استراتيجية للرقابة عرفها أي نظام ديمقراطي أو دكتاتوري في القرون الأخيرة، من بانوبتيك جيريمي بنثام في القرن الثامن عشر إلى خوف المستخدمين من أن وكالة المخابرات المركزية أو وكالة الأمن القومي وغيرها من الوكالات السرية تراقب أنشطتهم على الإنترنت، مروراً بعدد لا يحصى من الديكتاتوريات، مثل الديكتاتوريات العسكرية الرأسمالية ( ) في أمريكا اللاتينية خلال القرن العشرين.

في هذه الحالة، بدأت الرقابة الذاتية بتهديد من Google و YouTube *بوقف الدفع*. بمعنى، أنت حر في التفكير كما تشاء، ولكن إذا قلت شيئًا لا نتفق معه، فسنتوقف عن الدفع لك مقابل عملك ولن يكون هناك نقابة يمكنها الدفاع عنك. في الواقع، هذا ما حدث للعديد من الصحفيين المستقلين على المنصة، وبعضهم من أصدقائي.

بعبارة أخرى، فإن المنصات الضخمة، التي نشأت ومقرها القانوني في الولايات المتحدة، لا تحترم حتى دستور بلدها، الذي يضمن في تعديله الأول حرية التعبير، بغض النظر عما إذا كان هذا التعبير صادرًا عن منظمة كو كلوكس كلان أو النازيين أو النازيين الجدد أو النازيين المتطرفين. وهذا الأمر يتعارض بشكل خطير مع الحق الخارجي للقوانين الأمريكية نفسها التي تنطبق حتى في دول مثل الصين، في مرافق

شركات مثل Apple أو Microsoft، كما لو كانت تتمتع بحصانة دبلوماسية.

وقد اختتمت Google تهديدها بالخطبة الأخلاقية التالية، التي تتسم بمعايير مزدوجة من قبل القوى العظمى والشركات الكبرى: يتم انتهاك سياسات الشركة عندما يتم، على سبيل المثال، نشر *"محتوى خطير أو مهين... يحرض على العنف أو ينكر الأحداث* المأساوية" في أوكرانيا. إذا كان هناك *قانون حرب*، فمن الواضح أن الأقوياء قد اخترعوا *قانون أخلاقي* (خاصة في الشركات الخاصة التي تكتب قوانينها الخاصة) لخطف المبادئ العزيزة على من هم في الأسفل.

الضحايا هم ضحايا في كل الأحوال (من الصحراء إلى مدريد، ومن ليبيا إلى باريس، ومن جنوب إفريقيا والكونغو إلى لندن وبروكسل، ومن غواتيمالا وشيلي إلى واشنطن، ومن سوريا وفلسطين إلى أوكرانيا)، لكن *الحرب الأخلاقية* تُستخدم فقط للتعاطف مع بعض الضحايا ودعمهم بكل قوة وسائل الإعلام والدعاية والرواية الدولية، وإخفاء ضحايا آخرين.

مافيا الشركات في العالم الأول هي أخطبوط له مخالب عالمية، وجميعها تشترك في عامل واحد: *المال والإعلام والسلطة*. تم استبعاد منتخب روسيا من كأس العالم لكرة القدم في قطر 2022، دون أن يشعر أحد بالرعب من مقتل 7000 مهاجر أثناء التحضير للاحتفال العالمي بكرة القدم في تلك الديكتاتورية النفطية في الخليج الفارسي، حيث، كما هو الحال في المملكة العربية السعودية، لا مكان للغضب من النساء المضطهدات ولا للغضب من نساء الناتو لأسباب إعلامية واستراتيجية. كانت الفيفا نفسها شريكة للفاشية الإيطالية التي مكنتها من الفوز ببطولات كرة القدم في عامي 1934 و1938؛ ونفس الحال بالنسبة لـ في الأرجنتين عام 1978، عندما لم تُعاقب الديكتاتورية الوحشية للجنرال فيديلا بل كوفئت من قبل المافيا الدولية. شاركت الولايات المتحدة في

كأس العالم 2002 في كوريا الجنوبية واليابان، على الرغم من القصف الجماعي والتعذيب والمذابح في العراق.

في عام 2011، تمت معاقبة لاعب كرة القدم في إشبيلية، فريدريك كانوتي، لإظهاره دعمه للشعب الفلسطيني. بمجرد اندلاع الحرب في أوكرانيا، رافقت جميع بث مباريات الدوري الإسباني الشهير والقوي علم ذلك البلد بجانب ساعة التوقيت، كشكل من أشكال التضامن في مواجهة عدوان دولة أقوى (تقوم وسائل الإعلام بالإبلاغ عن حرب *روسيا ضد أوكرانيا*، وليس الحرب الأكثر وضوحًا *بين روسيا وحلف شمال الأطلسي)*. قامت أندية كرة القدم الأوروبية، مثل أتلتيكو مدريد، بإضاءة ملاعبها بألوان العلم الأوكراني، مما أدى إلى تهنئتها على عملها البطولي وتضامنها مع حقوق الإنسان. وحدث الشيء نفسه في ملاعب أخرى، مثل ويمبلي في إنجلترا. في العديد من مباريات الدوري الإنجليزي الممتاز القوي، أُجبر اللاعبون على دخول الملعب حاملين العلم الأوكراني، كعلامة على الحياد الرياضي.

كما حدد ومارس والد الدعاية الحديثة، إدوارد بيرنيز، فإن أفضل طريقة لإدارة الديمقراطية هي إخبار المواطنين بما يجب أن يفكروا فيه. "*التلاعب الواعي والذكي بعادات وآراء الجماهير المنظمة هو عنصر مهم في المجتمع الديمقراطي*". وفقًا لتقرير صادر عن الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية (ACLU) في عام 2022، "*أقرت المحكمة العليا للولايات المتحدة في عام 1936 أن 'الجمهور المطلع هو أقوى قيود ضد تجاوزات الحكومة. ومع ذلك، فإن معظم شؤون حكوماتنا اليوم تتم في سرية. هناك العديد من الوكالات السرية واللجان السرية في الكونغرس والمحاكم السرية، بل وهناك قوانين سرية. يمثل هذا السرية المتزايدة تهديدًا خطيرًا للحرية الفردية ويقوض مفهوم الحكم من الشعب وللشعب ومن أجل الشعب*".

بحق إلهي[3]

في أوائل مارس 2010، في خضم زيارة نائب الرئيس الأمريكي جو بايدن إلى إسرائيل، أعلنت الحكومة الإسرائيلية عن خطط بناء جديدة في الأراضي الفلسطينية المحتلة في القدس الشرقية.

هذا الإعلان، الذي لم يكن الأول ولا الأخير، أثار رد فعل من الولايات المتحدة. في 13 مارس، وصفت وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون الإعلان التوسعي بأنه إهانة.

ورداً على ذلك، دافع هاجاي بن أرتزي، صهر رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، عن نفسه، معلناً في إذاعة الجيش أن الرئيس الأمريكي "معاد للسامية ومعاد لإسرائيل ومعاد لليهود"، وطلب من والد زوجته أن يقول "لا" للتدخلات الأمريكية. وعلى وجه الخصوص، تدخلات الدكتور أوباما، الذي "لا يحب رئيس الوزراء فحسب، بل لا يحب شعب إسرائيل أيضاً".

صحح رئيس الوزراء نتنياهو تصريحات صهره في بيان رسمي: "أنا ممتن للغاية لالتزام الرئيس أوباما بأمن إسرائيل، وهو ما أعرب عنه مرارًا وتكرارًا".

ومع ذلك، اضطر بن أرتزي إلى القيام بالشيء نفسه، وإن كان بشكل غير رسمي، مؤكداً أنه "يعرف آراء" صهره، رئيس الوزراء، بشأن أوباما، لكنه لا يستطيع الكشف عما "يقوله في المحادثات الخاصة".

بعد أيام من ما وصفته وكالات الأنباء بأنه أسوأ أزمة بين الولايات المتحدة وإسرائيل منذ عقود، سافر رئيس الوزراء الإسرائيلي إلى

---

[3] مارس 2010

الولايات المتحدة للقاء الرئيس أوباما. وفي خضم هذا اللقاء الذي لم يتم تسجيله بالكاميرات أو أجهزة التسجيل غير الرسمية، فاجأت أنباء خطة بناء جديدة في منطقة أخرى متنازع عليها في القدس الرئيس الأمريكي والوزير الإسرائيلي نفسه.

انزعج الرئيس من خبر الخطة وانزعج الوزير من الخبر. واتهم اليسار الإسرائيلي بتسريب الخبر وعدم وضع مصالح إسرائيل فوق أي شيء آخر.

بعد ذلك بوقت قصير، في 22 مارس، في خطاب أمام أحد أقوى اللوبيات في العالم، لجنة الشؤون الإسرائيلية الأمريكية، كان رئيس الوزراء نتنياهو واضحًا للغاية: "لا يمكن فرض السلام من الخارج. إنه لا يمكن تحقيقه إلا من خلال مفاوضات مباشرة نبني فيها جوًا من الثقة المتبادلة" ("Peace cannot be imposed from the outside. It can only come through direct negotiations in which we develop mutual trust.")

وهذا يدل على أن القضية الفلسطينية هي شأن داخلي لإسرائيل.

وفقًا لمؤلفي *كتاب "اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية"* (2007)، الأستاذان جون ميرشايمر (جامعة شيكاغو) وستيفن والت (جامعة هارفارد)، فإن لجنة الشؤون الإسرائيلية الأمريكية هي واحدة من أقوى اللوبيات في واشنطن. "لا ترغب الجماعة الضاغطة في إجراء نقاش مفتوح لأن ذلك قد يدفع الشعب الأمريكي إلى التشكيك في مستوى الدعم الذي يقدمه [لحكومة إسرائيل]. وبالتالي، تعمل المنظمات المؤيدة لإسرائيل جاهدة للتأثير على المؤسسات المسؤولة عن تشكيل الرأي العام [...]. أكبر صعوبة واجهتها الجماعة الضاغطة كانت في محاولتها إخماد النقاش في الجامعات [...] والأمر الأكثر إثارة للقلق هو الجهود التي

بذلتها الجماعات اليهودية للضغط على الكونغرس لإنشاء آليات لمراقبة تصريحات الأساتذة".

يخلص جون ميرشايمر وستيفن والت إلى أن "أي نقاش حول هذه اللوبي لن يكون كاملاً دون تحليل أحد أسلحته الرئيسية: اتهام معاداة السامية".

من الواضح أن هذه الدراسة قد تكون كُتبت تحت تأثير معاداة السامية.

تمارس حكومة إسرائيل حقها المشروع في الدفاع عن نفسها، خاصة ضد الفلسطينيين الذين ينكرون وجود إسرائيل في خطاباتهم. تتمثل إحدى آليات هذا الدفاع عن النفس في قبول وجود فلسطين في الخطابات وإنكاره في الواقع العملي.

لا شك أن إسرائيل ستسمح يوماً ما للشعب الفلسطيني بأن يكون له بلده الخاص، ودوله الخاصة، وقوانينه الخاصة. ولكن ذلك سيكون، ربما، عندما لا تشعر دولة إسرائيل بالتهديد.

في خطابه في الولايات المتحدة، قال رئيس الوزراء نتنياهو: "مثلما يتوقع الفلسطينيون من إسرائيل أن تعترف بدولة فلسطينية، نتوقع من الفلسطينيين أن يعترفوا بدولة يهودية" ("*just as the Palestinians expect Israel to recognize a Palestinian state, we expect the Palestinians to recognize the Jewish state*.").

كل هذا يثبت أن الاستخدام الصحيح للغة أهم من أي خطأ عملي، مثل الاستعمار بالقوة لخلق جو من الثقة، أو تعليق حقوق الإنسان للشعوب المعادية للنوايا الحسنة لرؤساء الوزراء.

من الممكن أيضًا أن تكون هذه الحجج حججًا لمتعصبين عنيفين، وشباب فلسطينيين يلقون الحجارة، وأرامل إرهابيات يزرعن القنابل، وميليشيات مسلحة تطلق الصواريخ على المزارعين الإسرائيليين مهددة وجود الدولة الإسرائيلية، والتي قتلت منذ يناير 2009 مزارعًا تايلانديًا.

والأسوأ والأقل ملاءمة من الحجارة، ربما تكون هذه الحجج هي حجج المثقفين، وكثير منهم يهود، الذين يتأثرون بالإيديولوجيات السيئة ويجرؤون من حين لآخر على انتقاد تصرفات حكومة إسرائيل، التي هي تعبير عن رأي شعبها في المقام الأول وعن إرادة الله في المقام الأخير.

الحقيقة الوحيدة هي، كما قال رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، أن الشعب اليهودي بنى القدس قبل ثلاثة آلاف عام. لا تؤخذ في الاعتبار الأدلة أو البراهين الأثرية التي تؤكد وجود عمر أقدم لهذا المستوطنة، ليس فقط لأنها لا تأتي من الكتب المقدسة، بل لأن الرواية العلمية لا تشير إلى مدينة مقدسة بل إلى مستوطنة كنعانية.

وقد طرأت بعض التغييرات منذ ذلك الحين، كما في مكسيكو سيتي بعد أن سلم الله تينوختيتلان إلى هرنان كورتيس والكاثوليكية.

بعض المعابد لم تعد موجودة في القدس. تم بناء معابد أخرى في مكانها أو فوقها. كما تمت إضافة بعض المنازل والأبراج، وتم تعبيد بعض الشوارع، وإضافة بعض إشارات المرور. باختصار، تم إجراء بعض التعديلات خلال الألفي عام الماضية التي كانت فيها فلسطين والقدس تحت سيطرة الفرس واليونانيين والرومان والعرب بشكل غير قانوني.

بالطبع، هذه الشعوب الأخيرة لا تُحتسب. ما يُحتسب هو من كان أولاً. باستثناء أولئك الكنعانيين الكفار الذين سكنوا فلسطين قبل وصول شعب موسى واستيلائه عليها بأمر إلهي.

في خطابه أمام اللجنة الإسرائيلية، قال رئيس الوزراء نتنياهو: *"اسمي الأول هو بنيامين. هذا الاسم عمره ألف عام. كان بنيامين اسم ابن يعقوب. أحد إخوة بنيامين كان اسمه شمعون، وهو نفس اسم صديقي العزيز شمعون بيريز، رئيس إسرائيل. قبل حوالي أربعة آلاف عام،*

جاب بنجامين وشمعون وأخوته العشرة تلال القدس. بنى الشعب اليهودي القدس قبل ثلاثة آلاف عام، وهو الآن يعيد بنائها من جديد".

كل هذا ربما يتوافق مع العهد القديم:

"فقال الرب لموسى: لا تخف منه، لأنني قد دفعته إلى يدك، هو وشعبه وأرضه، وستفعل به كما فعلت بسيحون ملك الأموريين الذي سكن في حشبون. فأصابوه هو وأولاده وجميع شعبه، ولم يبق منهم أحد، واستولوا على أرضه". (سفر العدد، 21:34، 35)

ثم جاء دور أمريكا.

الانتحار البطيء للغرب[4]

"الصراع ليس – ولا ينبغي أن يكون – بين الشرقيين والغربيين؛ الصراع هو بين التعصب والفرض، بين التنوع والتوحيد، بين احترام الآخر وازدرائه أو إبادته. ما هو على المحك اليوم ليس فقط حماية الغرب من الإرهابيين، من هنا وهناك، بل – قبل كل شيء – من الضروري حمايته من نفسه. يكفي أن نكرر أيًا من اختراعاته الوحشية لنفقد كل ما تم تحقيقه حتى الآن في مجال احترام حقوق الإنسان. بدءًا من احترام التنوع. ومن المرجح جدًا أن يحدث ذلك في غضون عشر سنوات أخرى، إذا لم نتصرف في الوقت المناسب". (2002)

بعض مشاهير القرن العشرين، في دليل على تدهورهم الشيخوخي الذي لا رجعة فيه، كرسوا أنفسهم لنشر الأيديولوجية الشهيرة حول "صراع الحضارات" —التي كانت بذاتها مبتذلة— وبدأوا استنتاجاتهم بالنتائج، على غرار أفضل ما في اللاهوت الكلاسيكي. مثل القول المسبق والقرن التاسع عشر بأن " *الثقافة الغربية متفوقة على جميع الثقافات* الأخرى" وأنه، وكأن ذلك لا يكفي، من الواجب الأخلاقي تكراره.

من منطلق هذه التفوق الغربي، كتبت الصحفية الإيطالية الشهيرة أوريانا فالاسي مؤخرًا عبارات لامعة مثل: "إذا كانت النساء في بعض البلدان غبيات لدرجة أنهن يقبلن بارتداء الشادور وحتى الحجاب الذي يغطي العينين، فهذا أسوأ لهن. (...) وإذا كان أزواجهن أغبياء لدرجة

---

[4] مونتيفيديو، 8 يناير 2002

أنهم لا يشربون النبيذ أو البيرة، فهذا هو حالهم أيضاً". يا للهول، هذا هو بالفعل الصرامة الفكرية. "يا للقرف!" ——واصلت الكتابة، أولاً في صحيفة *كوربييري ديلا سيرا* ثم في كتابها الأكثر مبيعاً "الغضب والفخر"، في إشارة إلى الأفارقة الذين تبولوا في إحدى ساحات إيطاليا— "هؤلاء أبناء الله يتبولون مسافة طويلة! عرق من المنافقين". "حتى لو كانوا أبرياء تمامًا، حتى لو لم يكن بينهم من يريد تدمير برج بيزا أو برج جيوتو، ولا من يريد إجباري على ارتداء الحجاب، ولا من يريد حرقي على محكبة محاكم التفتيش الجديدة، فإن وجودهم يثير قلقي. إنه يسبب لي الانزعاج". باختصار: حتى لو كان هؤلاء السود أبرياء تمامًا، فإن وجودهم يسبب لها القلق نفسه. بالنسبة لفالاسي، هذا ليس عنصرية، إنه "غضب بارد وواضح وعقلاني". وكأن ذلك لم يكن كافيًا، هناك ملاحظة رائعة تشير إلى المهاجرين بشكل عام: "بالإضافة إلى ذلك، هناك شيء آخر لا أفهمه. إذا كان المهاجرون ( ) فقراء حقًا، فمن الذي يعطيهم المال للسفر في الطائرات أو السفن التي تجلبهم إلى إيطاليا؟ ألا يدفع لهم أسامة بن لادن، على الأقل جزئيًا؟" ...يا للأسف على غاليليو، يا للأسف على كامو، يا للأسف على سيمون دي بوفوار، يا للأسف على ميشيل فوكو.

بالمناسبة، دعونا نتذكر أنه على الرغم من أن هذه السيدة تكتب دون أن تفهم —كما قالت هي نفسها—، فإن هذه الكلمات دخلت في كتاب بيع منه نصف مليون نسخة، ولا يخلو من الأسباب والأفكار المبتذلة، مثل "أنا ملحدة، والحمد لله". ولا غرائب تاريخية من هذا النوع: "كيف يتوافق ذلك مع تعدد الزوجات ومبدأ أن النساء لا يجب أن يلتقطن صوراً. لأن هذا أيضاً موجود في القرآن"، مما يعني أن العرب في القرن السابع كانوا متقدمين جداً في مجال البصريات. ولا جرعاته المتكررة من الفكاهة، مثل هذه الحجج القوية: "وإلى جانب ذلك، دعونا نعترف:

كاتدرائياتنا أجمل من المساجد والمعابد اليهودية، أليس كذلك؟ وهي أجمل أيضاً من الكنائس البروتستانتية". كما يقول أتيليو، لديها بريق بريجيت باردو. كان ينقصنا أن ندخل في نقاش حول أيهما أجمل، برج بيزا أم تاج محل. ومرة أخرى، التسامح الأوروبي: "أنا أقول لك، لأنها محددة منذ قرون عديدة ودقيقة للغاية، لا يمكن لهويتنا الثقافية أن تتحمل موجة هجرة مكونة من أشخاص يريدون، بطريقة أو بأخرى، تغيير نظام حياتنا. قيمنا. أنا أقول لك إنه لا مكان بيننا للمؤذنين، للمآذن، للمتظاهرين بالامتناع عن الشرب، لعصورهم الوسطى اللعينة، لشادورهم اللعين. ولو كان هناك مكان، لما أعطيتهم إياه". ليختتم أخيرًا بتحذير لمحرره: "أحذرك: لا تطلب مني أي شيء بعد الآن. ناهيك عن المشاركة في جدالات عقيمة. لقد قلت ما كان عليّ قوله. لقد أمرني بذلك الغضب والكبرياء". وهو ما كان واضحًا لنا منذ البداية، وبالمناسبة، ينكر علينا أحد أساسيات الديمقراطية والتسامح، منذ العصر اليوناني القديم: الجدل والحق في الرد —تنافس الحجج بدلاً من الشتائم.

ولكن بما أنني لا أملك اسمًا مشهورًا مثل فالاسي —الذي اكتسبته بجدارة، ولا شك في ذلك—، لا يمكنني أن أكتفي بالإهانة. وبما أنني من مواليد بلد متخلف، ولست مشهورًا مثل مارادونا، لا خيار أمامي سوى اللجوء إلى العادة القديمة المتمثلة في استخدام الحجج.

لنرى. إن تعبير "الثقافة الغربية" وحده هو تعبير ملتبس بقدر تعبير "الثقافة الشرقية" أو "الثقافة الإسلامية"، لأن كل واحد منها يتكون من مجموعة متنوعة ومتناقضة في كثير من الأحيان من "ثقافات" أخرى. يكفي أن نفكر في أن "الثقافة الغربية" لا تضم فقط بلدانًا مختلفة مثل كوبا والولايات المتحدة، بل أيضًا فترات تاريخية متناقضة داخل نفس المنطقة الجغرافية، مثل أوروبا الصغيرة أو ألمانيا الأصغر، حيث سار غوته

وأدولف هتلر، وباخ و"سكين هيدز". من ناحية أخرى، دعونا لا ننسى أن هتلر والكو كلوكس كلان (باسم المسيح والعرق الأبيض)، وستالين (باسم العقل والملحدية)، وبينوشيه (باسم الديمقراطية والحرية)، وموسوليني (باسمه الخاص) كانوا جميعًا منتجات نموذجية وحديثة وممثلة لـ"الثقافة الغربية" المعلنة ذاتيًا. ما هو أكثر غربية من الديمقراطية ومعسكرات الاعتقال؟ ما هو أكثر غربية من إعلان حقوق الإنسان والديكتاتوريات في إسبانيا وأمريكا اللاتينية، الدموية والمنحطة إلى حدود لا يمكن تصورها؟ ما الذي يمكن أن يكون أكثر غربية من المسيحية، التي شفت وخلصت وقتلت بفضل المحكمة المقدسة؟ ما الذي يمكن أن يكون أكثر غربية من الأكاديميات العسكرية الحديثة أو الأديرة القديمة حيث كان يتم تدريس فن التعذيب، بسموّ صادم، بمبادرة من البابا إنوسنت الرابع واستناداً إلى القانون الروماني؟ أم أن كل ذلك جلبه ماركو بولو من الشرق الأوسط؟ ما الذي يمكن أن يكون أكثر غربية من القنبلة الذرية ( ) والملايين من القتلى والمفقودين في ظل الأنظمة الفاشية والشيوعية وحتى "الديمقراطية"؟ ما الذي يمكن أن يكون أكثر غربية من الغزوات العسكرية وقمع شعوب بأكملها تحت ما يسمى "القصف الوقائي"؟

كل هذا هو الجانب المظلم للغرب ولا شيء يضمن لنا أننا في مأمن من أي منها، فقط لأننا لم نتمكن من التفاهم مع جيراننا، الذين كانوا موجودين هناك منذ أكثر من 1400 عام، مع الفارق الوحيد أن العالم الآن أصبح معولمًا (لقد عولمه الغرب) وأنهم يمتلكون المصدر الرئيسي للطاقة التي تحرك اقتصاد العالم —على الأقل في الوقت الحالي— بالإضافة إلى نفس الكراهية والحقد اللذين كانت تشعر بهما أوريانا فالاسي. دعونا لا ننسى أن محاكم التفتيش الإسبانية، التي كانت أكثر رسمية من غيرها، نشأت عن مشاعر عدائية تجاه المسلمين واليهود، ولم تنتهِ بتقدم إسبانيا وخلاصها، بل بحرق آلاف البشر.

ومع ذلك، فإن الغرب يمثل أيضًا الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان والنضال من أجل حقوق المرأة. على الأقل محاولة تحقيقها وأقصى ما حققته البشرية حتى الآن. وما هي منذ الأزل أساس هذه الركائز الأربع، إن لم يكن التسامح؟

تريد فالاسي أن تقنعنا بأن "الثقافة الغربية" هي منتج فريد ونقي، دون مشاركة الآخر. لكن إذا كان هناك ما يميز الغرب، فهو بالضبط عكس ذلك: نحن نتاج ثقافات لا حصر لها، بدءًا بالثقافة العبرية (ناهيك عن أمنوفيس الرابع) ومروراً بجميع الثقافات الأخرى تقريبًا: الكلدانية، واليونانية، والصينية، والهندية، والأفريقية الجنوبية، والأفريقية الشمالية، وباقي الثقافات التي تُصنف اليوم بشكل موحد على أنها "إسلامية". حتى وقت قريب، لم يكن من الضروري التذكير بأن الكنيسة المسيحية، باسم الحب، كانت في أوروبا — في كل أوروبا — تضطهد وتعذب وتحرق أحياءً أولئك الذين يخالفون السلطات الكنسية أو يرتكبون خطيئة الانخراط في أي نوع من أنواع البحث (أو لمجرد كونهن نساء عازبات، أي ساحرات)، كانت الفنون والعلوم تنتشر في العالم الإسلامي، ليس فقط الفنون والعلوم الخاصة به، بل أيضاً الفنون والعلوم الصينية والهندية واليهودية واليونانية. وهذا لا يعني أن الفراشات كانت تحلق والكمان كان يعزف في كل مكان: كانت المسافة الجغرافية بين بغداد وقرطبة في ذلك الوقت شبه فلكية.

لكن أوريانا فالاسي لا تنكر فقط التركيبة المتنوعة والمتناقضة لأي من الثقافات المتنازعة، بل إنها في الواقع ترفض الاعتراف بالجزء الشرقي كثقافة أخرى. كتبت: "يضايقني حتى الحديث عن ثقافتين". ثم تواصل بعبارة تنم عن جهل تاريخي لا يصدق: "وضعهما على نفس المستوى، كما لو كانتا حقيقتين متوازيتين، متساويتين في الوزن والمقياس. لأن وراء حضارتنا يوجد هوميروس وسقراط وأفلاطون

وأرسطو وفيدياس، من بين آخرين كثيرين. هناك اليونان القديمة ببارثينونها واكتشافها للديمقراطية. هناك روما القديمة بعظمتها وقوانينها ومفهومها للقانون. بنحتها وأدبها ومعمارها. قصورها ومسارحها، قنواتها وجسورها وطرقها".

هل من الضروري أن نذكر فالاسي بأن بين كل ذلك وبيننا يقع الإمبراطورية الإسلامية القديمة، التي لولاها لكان كل شيء قد احترق — وأنا أتحدث عن الكتب والأشخاص، وليس عن الكولوسيوم — بفضل قرون من الإرهاب الكنسي، الأوروبي والغربي على حد سواء؟ وسنتحدث في يوم آخر عن عظمة روما و"مفهومها للقانون"، لأن هناك أمور واضحة لا تنسى. ولنترك جانباً الأدب والعمارة الإسلامية، اللذين لا يقلان عن روما التي تتحدث عنها فالاسي، كما يعلم أي شخص متوسط الثقافة.

حسناً، وأخيراً؟ "وأخيراً"، كتبت فالاسي، "هناك العلم. علم اكتشف العديد من الأمراض وعالجها . أنا ما زلت على قيد الحياة، حتى الآن، بفضل علمنا، وليس علم محمد. علم غير وجه هذا الكوكب بالكهرباء والراديو والهاتف والتلفزيون... حسناً، لنطرح الآن السؤال القاتل: وماذا يوجد وراء الثقافة الأخرى؟"

الإجابة القاتلة: وراء علمنا يوجد المصريون والكلدانيون والهندوس واليونانيون والصينيون والعرب واليهود والأفارقة. أم أن فالاسي تعتقد أن كل شيء نشأ بشكل عفوي في الخمسين عامًا الماضية؟ يجب أن نذكر هذه السيدة بأن فيثاغورس استمد فلسفته من مصر وكلدانيا (العراق) — بما في ذلك صيغته الرياضية الشهيرة، التي لا نستخدمها في الهندسة المعمارية فحسب، بل أيضاً في إثبات نظرية النسبية الخاصة لأينشتاين— ، كما فعل عالم ورياضي آخر يدعى ثاليس من ميليتوس. كلاهما سافر

إلى الشرق الأوسط بعقل أكثر انفتاحًا من فالاسي عندما سافرت هي. نشأت الطريقة الافتراضية الاستنتاجية —أساس علم المعرفة العلمي— بين الكهنة المصريين (ابدأوا بـ كليموفسكي، من فضلكم)؛ الصفر واستخراج الجذور التربيعية، بالإضافة إلى اكتشافات رياضية وفلكية لا حصر لها، ندرسها اليوم في المدارس الثانوية، نشأت في الهند والعراق؛ اخترع الفينيقيون (اللبنانيون القدماء) الأبجدية، وربما كانت أول شكل من أشكال العولمة التي عرفها العالم . الصفر لم يكن اختراعاً للعرب، بل للهنود، لكن العرب هم الذين نقلوه إلى الغرب. وكأن ذلك لم يكن كافياً، فإن الإمبراطورية الرومانية المتقدمة لم تكن تعرف الصفر فحسب — الذي بدونه لا يمكن تخيل الرياضيات الحديثة والرحلات الفضائية— بل كانت تمتلك نظاماً معقداً للعد والحساب استمر حتى نهاية العصور الوسطى. حتى بداية عصر النهضة، كان هناك رجال أعمال لا يزالون يستخدمون النظام الروماني، رافضين استبداله بالأرقام العربية، بسبب تحيزات عرقية ودينية، مما تسبب في كل أنواع الأخطاء الحسابية والنزاعات الاجتماعية. من ناحية أخرى، من الأفضل ألا نذكر أن ولادة العصر الحديث نشأت عن اتصال الثقافة الأوروبية —بعد قرون طويلة من القمع الديني— بالثقافة الإسلامية أولاً ثم بالثقافة اليونانية بعد ذلك. أم أن أحداً ما اعتقد أن العقلانية المدرسية كانت نتيجة للتعذيب الذي كان يمارس في الأبراج المحصنة المقدسة؟ في أوائل القرن الثاني عشر، قام الإنجليزي أديلاردو دي باث برحلة دراسية طويلة إلى جنوب أوروبا وسوريا وفلسطين. عند عودته من رحلته، أدخل أديلاردو إلى إنجلترا المتخلفة نموذجاً لا يزال حتى اليوم يؤيده علماء مشهورون مثل ستيفن هوكينغ: لقد خلق الله الطبيعة بطريقة ة يمكن دراستها وشرحها دون تدخله (وهذا هو الركن الآخر للعلوم، الذي أنكرته الكنيسة الرومانية تاريخياً). بل إن أديلاردو انتقد مفكري عصره لأنهم انبهروا بسمعة

السلطات —بدءاً باليوناني أرسطو، بالطبع. لذلك رفع شعار "العقل ضد السلطة"، وأطلق على نفسه لقب *"موديرنوس"*. كتب: "لقد تعلمت من أساتذتي العرب أن أتخذ العقل دليلاً، لكنكم لا تتبعون سوى ما تقوله السلطة". أدخل جيراردو دي كريمونا، وهو مواطن من بلد فالاسي، إلى أوروبا كتابات الفلكي والرياضي "العراقي" الخوارزمي، مخترع الجبر والخوارزميات والحساب العربي والعشري؛ وترجم بطليموس من العربية —لأن حتى النظرية الفلكية لرجل يوناني رسمي مثله لم تكن موجودة في أوروبا المسيحية—، وعشرات المقالات الطبية، مثل تلك التي كتبها ابن سينا والإيراني الرازي، مؤلف أول مقالة علمية عن الجدري والحصبة، ولذلك كان سيكون اليوم عرضة لنوع من الاضطهاد.

يمكننا أن نستمر في سرد أمثلة مثل هذه، التي تتجاهلها الصحفية الإيطالية، لكننا تناولنا هذا الموضوع بالفعل في كتاب، وهو ليس ما يهمنا الآن.

ما هو على المحك اليوم ليس فقط حماية الغرب من الإرهابيين، من هنا وهناك، بل —وربما قبل كل شيء— من الضروري حمايته من نفسه. يكفي أن نكرر أيًا من اختراعاته الوحشية لنفقد كل ما تم تحقيقه حتى الآن في مجال احترام حقوق الإنسان. بدءًا من احترام التنوع. ومن المرجح جدًا أن يحدث ذلك في غضون عشر سنوات أخرى، إذا لم نتصرف في الوقت المناسب.

البذرة موجودة، وما عليك سوى سقيها قليلاً. لقد سمعت عشرات المرات العبارة التالية: "الشيء الوحيد الجيد الذي فعله هتلر هو قتل كل هؤلاء اليهود". لا أكثر ولا أقل. ولم أسمعها من أي مسلم — ربما لأنني أعيش في بلد لا يوجد فيه مسلمون تقريباً — ولا حتى من أي من نسل العرب. لقد سمعتها من أشخاص محايدين من أصل كريولي أو من أصل أوروبي. في كل هذه المناسبات، كان يكفي أن أقول ما يلي لإسكات

محاوري العرضي: "ما هو اسم عائلتك؟ غوتيريز، باولتي، ويلسون، مارسو... إذن، سيدي، أنت لست ألمانيًا، ناهيك عن أن تكون من عرق آري خالص. وهذا يعني أنه قبل أن يقضي هتلر على اليهود، كان سيبدأ بقتل أجدادك وكل من يشبهونك في الملامح ولون البشرة". نحن نواجه الآن نفس الخطر: إذا انشغلنا بملاحقة العرب أو المسلمين، فلن نثبت فقط أننا لم نتعلم شيئًا، بل سننتهي أيضًا بملاحقة من يشبهونهم: البدو، وشمال أفريقيا، والغجر، وإسبانيا الجنوبية، واليهود في إسبانيا، واليهود في أمريكا اللاتينية، وأمريكا الوسطى، والمكسيك الجنوبية، والمورمون في الشمال، وهاواي، والصينيين، والهنود، وهكذا دواليك.

قبل وقت قصير، لخص إيطالي آخر، أومبرتو إيكو، تحذيراً حكيماً على النحو التالي: "نحن حضارة متعددة لأننا نسمح ببناء المساجد في بلداننا، ولا يمكننا التخلي عنها لمجرد أن كابول تسجن الدعاة المسيحيين (...) نعتقد أن ثقافتنا ناضجة لأنها تتسامح مع التنوع، وأعضاء ثقافتنا الذين لا يتسامحون مع التنوع هم بربريون".

كما قال فرويد ويونغ، فإن ما لا يرغب أحد في ارتكابه أبدًا هو موضوع حظر؛ وكما قال بودريلارد، فإن الحقوق تُرسى عندما تُفقد. لقد حصل الإرهابيون الإسلاميون على ما أرادوا، مرتين. يبدو الغرب، فجأة، مجردًا من أفضل فضائله، التي بُنيت على مر القرون، مشغولًا الآن بتكرار عيوبه الخاصة ونسخ عيوب الآخرين، مثل الاستبداد والاضطهاد الوقائي للأبرياء. لقد أمضى وقتًا طويلاً في فرض ثقافته على مناطق أخرى من الكوكب، ليترك الآن الآخرين يفرضون عليه أخلاقًا لم تكن أخلاقه في أفضل أوقاته. لم تكن فضائل مثل التسامح والنقد الذاتي جزءًا من ضعفها، كما يُزعم، بل على العكس تمامًا: بفضلها كان من الممكن تحقيق نوع من التقدم الأخلاقي والمادي. لم تتطور الديمقراطية والعلم من عبادة نرجسية للثقافة الخاصة، بل من المعارضة

النقدية لها. وحتى وقت قريب، كان منشغلين بهذا الأمر ليس فقط "المثقفون الملعونون" بل أيضاً العديد من مجموعات العمل والمقاومة الاجتماعية، مثل البرجوازيين في القرن الثامن عشر، والنقابات في القرن العشرين، والصحافة الاستقصائية حتى الأمس، التي حلت محلها اليوم الدعاية، في هذه الأوقات البائسة التي نعيشها. حتى التدمير السريع للخصوصية هو علامة أخرى على هذا الاستعمار الأخلاقي. إلا أننا بدلاً من الخضوع للرقابة الدينية، سنخضع لرقابة الأمن العسكري. سيقوم الأخ الأكبر الذي يسمع كل شيء ويرى كل شيء بفرض أقنعة علينا تشبه تلك التي نراها في الشرق، بهدف وحيد هو ألا يتم التعرف علينا عندما نسير في الشارع أو عندما نمارس الحب.

الصراع ليس —ولا يجب أن يكون— بين الشرقيين والغربيين؛ الصراع هو بين التعصب والفرض، بين التنوع والتوحيد، بين احترام الآخر وازدرائه أو إبادته. كتابات مثل "الغضب والفخر" لأوريانا فالاسي ليست دفاعًا عن الثقافة الغربية بل هجومًا خبيثًا، كتيبًا مهينًا لأفضل ما في الغرب. والدليل على ذلك هو أنه يكفي تغيير كلمة "الشرق" في الكتاب بكلمة "الغرب"، وبعض المواقع الجغرافية الأخرى، لندرك أننا أمام متطرف من الطالبان. نحن الذين لا نشعر بالغضب أو الفخر تجاه أي عرق أو ثقافة، نشعر بالحنين إلى الأوقات الماضية، التي لم تكن جيدة أبدًا، ولكنها لم تكن سيئة أيضًا.

قبل بضع سنوات، كنت في الولايات المتحدة ورأيت هناك لوحة جدارية جميلة في مبنى الأمم المتحدة في نيويورك، إذا لم تخني الذاكرة، حيث تم تمثيل رجال ونساء من أعراق وأديان مختلفة — أعتقد أن التكوين كان قائمًا على هرم عشوائي بعض الشيء، ولكن هذا ليس مهمًا الآن. أسفل اللوحة، كانت هناك عبارة مكتوبة بحروف ذهبية، وهي وصية علمها كونفوشيوس في الصين وكررها رجال ونساء من جميع أنحاء الشرق على مدى آلاف السنين، حتى أصبحت مبدأً غربياً: "افعل

للآخرين ما تريد أن يفعلوه لك". تبدو هذه العبارة موسيقية في اللغة الإنجليزية، وحتى أولئك الذين لا يعرفون هذه اللغة يشعرون أنها تشير إلى نوع من التبادل بين المرء والآخرين. لا أفهم لماذا يجب أن نشطب هذا الوصية من جدراننا، وهي أساس أي ديمقراطية وأي دولة قانون، وأساس أفضل أحلام الغرب، فقط لأن الآخرين نسوها فجأة. أو استبدلوها بمبدأ كتابي قديم كان المسيح قد ألغاه: "العين بالعين والسن بالسن". وهو ما يترجم حالياً إلى عكس المبدأ الكونفوشيوسي، إلى شيء مثل: افعل للآخرين كل ما فعلوه لك — القصة المعروفة التي لا تنتهي.

عندما تتسرب حقيقة الحرب إلى عالمنا من الأوهام[5]

قال أومبرتو إيكو، في إحدى صفحات كتابه *La definizione dell'arte* (1968)، إن أي شيء نجده في الشارع يكتسب معنى جديدًا عندما يوضع في متحف. وتكمن قيمته الفنية والسيميائية في إخراجه من سياقه. وقد فهم الروس الشكليون شيئًا مشابهًا عندما حللوا في بداية القرن الماضي أهمية (كيف أقولها؟) عدم *قواعدية* الشعر لجذب انتباه القارئ إلى الكلمة غير المتوقعة وغير المعتادة. وبهذه الطريقة، يكتسب الترس، الاسم، معنى جديدًا، أقوى وأكثر استقلالية (وقد جرب الحداثيون الأمريكيون اللاتينيون ذلك بالفعل في القرن التاسع عشر).

تتأكد هذه الديناميكية السيميائية في ظواهر العولمة الرقمية، حيث تتدخل اللامبالاة الباردة للظاهرة والمأساة التي لا تطاق للألم الأخلاقي.

أصبح الفيديو الأخير الذي يظهر رد فعل طفل ضحية القصف الجوي في حلب، سوريا، دون بكاء أو دموع، ما يُسمى بشكل مشكوك فيه بالفيديو الفيروسي. من حين لآخر، يتأثر العالم بوجوه الضحايا الأبرياء هذه. كان هناك حالة مماثلة لطفل سوري آخر يدعى أيلان كردي، غرق أثناء محاولة والديه الوصول إلى سواحل أوروبا.

من الواضح أن هاتين المأساتين تشتركان في العديد من العناصر. ولكن كلاهما يشتركان أيضاً في ردود فعل وسائل الإعلام. سواء في حالة الطفل الذي مات على الشاطئ التركي أو في حالة حلب، فإن

---

[5] أغسطس 2016

العنصر المشترك الذي يجعلهما "فيراليين" هو إخراجهما من سياقهما، وليس اكتشاف أي حقيقة عن الحروب الجارية والانتهاكات التقليدية للقوة.

منذ غزو العراق وقبل ذلك بكثير (فيتنام، لبنان، غواتيمالا، فلسطين، الصحراء الغربية، سيراليون، نيجيريا... على سبيل المثال لا الحصر، الأكثر نسياناً في السنوات الأخيرة) رأينا أطفالاً مغطيين بالغبار، ممزقين ومذبوحين بأعداد فاحشة. لم تثر أي من تلك الصور ردود الفعل الجماهيرية التي رأيناها في الحالات الأخيرة المذكورة.

لماذا؟

حسنًا، أعتقد أنه لا داعي لأن تكون عبقريًا لتدرك أن التفسير، بعيدًا عن الجانب الأخلاقي، هو تفسير نفسي. في كلتا الحالتين، كان الأطفال يستنتجون من مآسيهم (البعيدة عن الغرب والشرق الأقصى والشرق الأوسط الغني) إلى سياق مألوف، خاص بالدول المتقدمة أو على الأقل غير المنخرطة في حرب. شاطئ كوس كان شاطئاً أوروبياً، بعيداً عن الصراع؛ الحارس التركي الذي التقطه بقفازاته المطاطية، كان يمكن أن يكون شخصاً نعرفه من شواطئنا الغربية.

والحالة الأخيرة لعمار في حلب أكثر وضوحاً.

العنصر الأول الجدير بالملاحظة هو عدم بكاء عمران، وتأكده من إصابته عندما لمس وجهه ورأى يده ملطخة بالدماء. الإيماءة المؤلمة والمتواضعة لهذا الطفل البريء الذي، وكأنه لا ينبغي عليه ذلك، يمسح الدم عن يده على الكرسي البرتقالي النظيف وينظر خجلاً حوله. تعبيره، حتى لو كان بسبب الذهول أو الارتباك، يعني كل ما لا نتوقعه من طفل في الخامسة من عمره: عدم البكاء في خضم مأساة لم يمر بها أطفالنا قط. أطفالنا يعرفون كيف يبكون، وفي عالم استهلاكي يبكون على كل شيء تقريباً. أما عمران فلا يستطيع حتى أن يبكي.

ولكن دعونا ننتقل إلى عنصر أقل وضوحًا، على الرغم من أنه أول ما نراه: تكوين الصورة. الطفل المشوه بجروح من الحطام والغبار الناجم عن الغارة الجوية (التي كان هدفها حمايته؛ لن نشكك في حسن نية القوى العالمية) يجلس على كرسي برتقالي أنيق، بجانب معدات أخرى برتقالية أنيقة تابعة لفرق الإنقاذ.

وهذا بحد ذاته يشكل تباينًا بصريًا صارخًا. لكن التباين الرمزي أكثر وضوحًا: الهشاشة والبراءة، المستخلصة من عالمنا، العالم الحديث، النظيف والوظيفي والمتحضر.

من خلال التحويل الرمزي، يصبح الطفل أحد جيراننا أو أحد أفراد عائلتنا الذين يعيشون مأساة لا يمكننا النظر إليها دون أن نتأثر، دون أن نتحرك للمساهمة في شيء ما لتخفيف تلك المأساة، تقريبًا مثل شخص يقدم أسبرين لمريض بالسرطان. ومع ذلك، ربما يكون هذا هو الجانب الأكثر إيجابية في حساسية أولئك الذين لا يعيشون في حرب.

ومع ذلك، وكأنه قاعدة، بعد الكاثارسيس الذي يظهر لنا كل ما نحن عليه من خير، فإن الغالبية دائماً ما تكون مستعدة للنسيان أو للغرق في التقاعس.

قد يقولون لي إن الحكم بأن "الغالبية دائماً مستعدة للنسيان" غير عادل أو تعسفي. صحيح، من الصعب جدًا تحديد حجم هذه المجموعة؛ ولا يمكنني حتى أن أكون متعجرفًا وأستبعد نفسي منها. ومع ذلك، إذا حكمنا من خلال التقاليد التي لا تنتهي من الحروب والحروب المضادة، والغزوات والتدخلات التي عادة ما تسبق الحروب الأهلية والجماعات الإرهابية التي تزدهر وتتكاثر نتيجة لذلك، ثم تبرر تدخلات جديدة والمزيد من القنابل، يبدو أنه، في الواقع، السلطة تعتمد دائمًا على أغلبية غير مبالية تتأثر أحيانًا حتى الدموع عندما تكتشف عواقب خياراتها السيئة التي لا تقبل أبدًا تحمل أي مسؤولية عنها.

الحياة البشرية كأثر جانبي[6]

موتانا حقيقيون لأنهم يؤلموننا

قبل بضعة أيام، مات طفل من الجوع وآخر من الإسهال. بعد ذلك بوقت قصير، أكلت الديدان طفلاً يبلغ من العمر ثلاثة عشر شهراً وهو حي. لا داعي للدخول في تفاصيل وصفية. يكفي الإشارة إلى ذلك وعدم تجاهله باعتباره ظاهرة مناخية، بل ظاهرة من الظلم الاجتماعي الحقيقي.

لكن هؤلاء الأطفال المتوفين هم أطفال من الضواحي. مهمشون. إنهم آثار جانبية. لا يؤلمون.

في كل مرة يموت فيها طفل من الجوع، يفقد الدولة سبب وجودها. وفي هذا الصدد، لا بد من القول إن الدولة فقدت عقلها مرارًا وتكرارًا. إذا كانت أكبر مؤسسة أنشأتها المجتمع قادرة على إصلاح إشارة مرور كلما تعطلت، فكيف لا تستطيع منع طفل من الموت جوعًا؟ لقد سمعت مرات عديدة أن نسبة كبيرة من البشر الذين ينامون في الشوارع، ورؤوسهم مستندة على الرصيف في درجة حرارة صفر درجة مئوية أو أقل ( )، تحت وطأة العنف المناخي والعنف المعنوي لرؤيتهم في هذا الوضع المهين، يرفضون الذهاب إلى مكان يوفر لهم الطعام والمراتب. وبالتالي، فإن هؤلاء الأفراد مسؤولون عن وضعهم البائس. في اللغة الإنجليزية، يبدو الأمر محترماً: إنهم *مشردون*. ولكن كم منا لن يصاب بالجنون في ظروف عنيفة ومتكررة مثل تلك التي يعيشها هؤلاء الأشخاص؟

---

[6] يونيو 2003

ولكن بما أن الفقراء *مسؤولون* عن فقرهم، كما أن المدمنين على الكحول والمخدرات مسؤولون عن إدمانهم، فيمكننا أن نتركهم يتخبطون وسيستمر العالم في الدوران. الآن، إذا هدد رجل بالقفز من الطابق العاشر، ماذا يفعل الدولة؟ من الناحية النظرية، هذا الرجل له الحق في أن يفعل ما يشاء بوجوده. ومع ذلك، لن يخطر ببال أحد أن يتركه يمارس حقه. لماذا؟ سنقول دائماً إن هذا الشخص غير سليم عقلياً، وبالتالي يجب أن نساعده على التخلي عن محاولته. لذلك نرسل رجال الإطفاء والشرطة والأطباء النفسيين *لإقناعه* بالعدول عن محاولته، خشية أن يلوث الشارع وينشر سوء القدوة. هل هذا صحيح؟ بعيدًا عن النقاش الفلسفي حول الحق، فإن حدسنا يصرخ بأن هذا صحيح. إذن، لماذا نترك رجلًا ملقى في الشارع؟ لماذا لا تتحمل أكبر منظمة في المجتمع، وهي الدولة، المسؤولية عن كل طفل يموت جوعًا، بدلاً من إلقاء اللوم على أم تعيش في مكب نفايات وتوقفت عن التفكير؟

حسنًا، هذا هو شجرة الأوراق الجافة. الآن دعونا نحاول أن نرى الغابة.

لعقود من الزمن، كان نهر ريو دي لا بلاتا نهر المهاجرين. نزل ملايين الرجال والنساء من السفن إلى هذه الأرض المجهولة لزرع عرقهم وعاداتهم. كان معظمهم من الأوروبيين، ممثلين فخورين بثقافة متقدمة، بتاريخ مليء بالإمبراطوريات العظيمة والسيطرة المشؤومة، والتي غالبًا ما تم الخلط بينها وبين عرق غير موجود: العرق الأبيض. ومع ذلك، فإن أجدادنا الذين نزلوا من السفن كانوا في الغالب أميين، ضحايا لأبشع أنواع الاضطهاد أو مجرمين عاديين. بشكل عام، كانوا أشخاصًا لم يكن لديهم الكثير من الأسباب ليشعروا بالفخر. ليس لأنهم كانوا فقراء وأميين، بل لأنهم جاءوا من أوروبا المريضة والمحاربة والمتزمتة، وغالبًا ما كانوا يحملون معهم تحيزات عميقة، وصرامة أخلاقية عديمة الفائدة تشبه اللاإنسانية والكذب أكثر من الحكمة.

هناك حادثة صغيرة وقعت في ميناء بوينس آيرس تصور ببساطة تامة بعض هؤلاء الفاتحين، الذين لم يفتقروا إلى الفضائل ولكنهم بشكل عام بذلوا كل ما في وسعهم لنسيان عيوبهم، تلك العيوب نفسها التي حاولت الأنثروبولوجيا إخفاءها في الكتب. نقل لي هذه المعجزة عمي كايتو ألبيرناز، وهو فلاح لم يلتحق بالجامعة، ولكنه كان يمتلك العديد من الكتب بجانب محراثه وذكاء أخلاقي دقيق للغاية بحيث لا يمكن الاستماع إليه دون ملل، وقد دمرته الدكتاتورية العسكرية منذ سنوات عديدة. كنتُ طفلاً صغيراً وسمعته يروي، بنفس الإيجاز، بينما كنا نستمع إلى غناء أو أنين طائر ليلي، لا يمكن تحديد مكانه في الأفق الشاسع للغروب:

"بينما كانوا لا يزالون يحملون حقائبهم، التقى مجموعة من المهاجرين بمجموعة أخرى من جنسية أخرى، ربما من إحدى دول أوروبا الطرفية. ثم قال أحدهم للآخر: *لغتنا أفضل لأنها مفهومة*".

مع مرور الوقت، اختفت هذه الإضاءة على الجهل تحت طبقة سميكة من الثقافة. ومع ذلك، في أعماق قلوبنا الغربية، لا تزال توجد الموقف البدائي الذي يعتبر لغتنا هي أفضل لغة، وأخلاقنا هي أفضل أخلاق، وعلى الرغم من أن ذلك يؤلمنا، فإن موتانا هم الضحايا الوحيدون. ولإدراك ذلك، لا حاجة إلى جامعة، بل إلى حساسية ذلك الفلاح الذي كان يعرف كيف يستمع إلى الطيور.

طوال القرن العشرين، كان أحد المبادئ الأخلاقية التي بررت كل إبادة جماعية وكل مذبحة، سواء كانت جماعية أو صغيرة النطاق، هو المبدأ الذي ينص على أن "الغاية تبرر الوسيلة". وكما كان متوقعًا، لم تتحقق الغايات النبيلة أبدًا، وبالتالي، استمرت الوسائل في التكرار، أي أن الوسائل فرضت نفسها كغايات. (وهذا ما يحدث عادةً مع القضايا عندما تتحول إلى أيديولوجيات، أو مع الإيمان عندما يتحول إلى عقيدة). وهذا منطقي بشكل مزدوج، لأنه إذا كان المرء يريد الدفاع عن الحياة بالموت، فإن استخدام هذا الملاذ الأخير يجعل تحقيق الهدف المنشود مستحيلاً. إلا إذا كان الهدف هو القيامة العشوائية.

مع مرور الوقت، تغيرت الخطابات والأيديولوجيات. تغيرت فقط؛ ولم تختفِ في أي وقت من الأوقات. في الواقع، فإن مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة" لا يزال ساريًا اليوم كما كان في عهد ستالين أو نيرون. الآن، وبشكل أكثر تقنية وأقل فلسفية، يُفهم المفهوم نفسه من خلال تعبير "الآثار الجانبية".

لننظر إلى الأمر عن كثب. على مدى الخمسين عامًا الماضية، قامت القوى العظمى في العالم بعمليات عسكرية بهدف الحفاظ على النظام والسلام والحرية والديمقراطية. لن نشكك في ذلك ـــفهذا من شأنه أن يعقد التحليل منذ البدايةـــ. في كل عملية من هذه العمليات التي تمت للدفاع عن الحياة، كان هناك قتلى بالطبع. على عكس الحروب القديمة، نادرًا ما يكون القتلى من العسكريين (مما يجعل هذه المهنة واحدة من أكثر المهن أمانًا في العالم، وأكثر أمانًا من مهنة الصحفي أو الطبيب أو عامل البناء) ولا يكونون أبدًا من دعاة هذه المهام المحفوفة بالمخاطر. كقاعدة عامة، الضحايا الجدد هم دائمًا مدنيون، عجوز لم يستطع الهرب في الوقت المناسب، شاب غير مستشار، بلا صوت ولا تصويت، امرأة حامل، جنين مجهض.

لننظر للحظة إلى هؤلاء القتلى الذين لا يمسوننا ولا يؤثرون علينا. هل هم قتلى غير متوقعين؟ لا أعتقد ذلك. لا يمكن أن يفاجئ أحداً أن يكون هناك قتلى في هجوم عسكري. للقتلى والحروب روابط تاريخية، وكذلك الحروب والمصالح المؤسسية. هذه الوفيات متوقعة لدرجة أنها تم تعريفها، بشكل جماعي، على أنها "آثار جانبية". ليس صحيحاً أن "القنابل الذكية" غبية؛ حتى العباقرة يخطئون، وهذا ما نعرفه جميعاً. الآن، تنشأ المشكلة الأخلاقية عندما يتم قبول هذه "الآثار الجانبية" دون تساؤل على أنها حتمية بأي حال من الأحوال ولا توقف أبداً العملية التي تسببها.

لماذا؟ لأن هناك أشياء أكثر أهمية من "الآثار الجانبية" ، أي أن هناك أشياء أكثر أهمية من الحياة البشرية. أو على الأقل من نوع معين من الحياة البشرية.

وهنا تكمن المشكلة الأخلاقية الثانية. إن قبول أن مقتل المئات من الأبرياء، رجالاً وأطفالاً ونساءً، في قصف ما يمكن تعريفه بـ"آثار جانبية" هو قبول بوجود حياة بشرية ذات "قيمة جانبية". الآن، إذا كانت هناك أرواح بشرية ذات قيمة جانبية، فلماذا يتم الشروع في عمل من هذا النوع للدفاع عن الحياة؟ يخبرنا العقل والحدس أن هذا المبدأ ينطوي على فكرة غير مشكوك فيها، وهي أن هناك أرواح بشرية ذات "قيمة أساسية".

مهلاً. أمام هذا الاستنتاج الغريب، يجب أن نسأل أنفسنا ما إذا كنا قد أخطأنا في تفكيرنا. للقيام بذلك، يجب أن نجري تمريناً ذهنياً للتحقق. لنجري التجربة. لنسأل أنفسنا: ماذا كان سيحدث لو أن كل خمسة أطفال سود أو آسيويين قُتلوا بسبب "تأثير جانبي" قُتل واحد أو اثنان من الأطفال البيض، الذين لهم أسماء وألقاب، ومحل إقامة واضح، وماضٍ وثقافة مشتركة مع الطيارين الذين ألقوا القنابل؟ ماذا كان سيحدث لو أن كل "تأثير جانبي" لا مفر منه أودى بحياة جيراننا؟ ماذا كان سيحدث لو أننا اضطررنا، من أجل "تحرير" بلد بعيد، إلى التضحية بمئة طفل في مدينتنا، كـ ، كـ"تأثير جانبي" لا مفر منه؟ هل كان الأمر سيختلف؟ ولكن كيف، كيف يمكن أن تختلف وفاة طفلة بعيدة ومجهولة، بريئة ووجهها متسخ، عن وفاة طفل يعيش بالقرب منا ويتكلم لغتنا؟ ولكن أي الوفيات أكثر فظاعة؟ أي الوفيات أكثر عدلاً وأيها أكثر ظلمًا؟ أي من هذين البريئين كان يستحق الحياة أكثر؟

من المؤكد أن الجميع يتفق على أن كلا البريئين كان لهما نفس الحق في الحياة. لا أكثر ولا أقل. فلماذا يعتبر موت بعض الأبرياء "آثارًا جانبية" بينما يمكن أن يؤدي موت آخرين إلى تغيير أي خطة عسكرية، وقبل كل شيء، أي نتيجة انتخابية؟

في حين يبدو من المشروع تمامًا أن تبادر دولة ما، في مواجهة عدوان، إلى شن عمليات عسكرية دفاعية، فهل من المشروع أيضًا قتل أبرياء من الغرباء دفاعًا عن أبرياء من أبناء وطنها، حتى في ظل منطق "الآثار الجانبية"؟ هل من المشروع، ربما، إدانة قتل الأبرياء من أبناء البلد، وفي الوقت نفسه، تشجيع عمل ينهي حياة الأبرياء من الأجانب، باسم شيء أفضل وأكثر نبلاً؟

أقرب إلى واقعنا، ماذا كان سيحدث لو توقفت الديدان عن أكل الأطفال الفقراء وبدأت في أكل الأطفال الأغنياء؟ ماذا كان سيحدث لو بدأ أطفال *طبقتنا* البارزة *والضرورية* في الموت بسبب إهمال إداري؟

يجب أن تبدأ "التطهير الأخلاقي" بتطهير لغوي: يجب أن نشطب صفة "جانبي" ونؤكد على اسم "تأثير". لأن الأبرياء الذين دمرتهم العنف الاقتصادي أو المسلح هم التأثير الأكثر نقاءً ومباشرةً للعمل، دون أي تخفيفات لغوية. مهما كان ذلك مؤلماً. كل شيء آخر قابل للنقاش.

هذا الموقف الأعمى لمجتمع المعرفة يشبه في كل شيء الاعتقاد المتكبر بأن "لغتنا أفضل لأنها مفهومة". إلا أن ذلك يأتي بدرجة من التراجيديا يمكن ترجمتها على النحو التالي: *موتانا* حقيقيون *لأنهم يؤلموننا.*

دروع بشرية[7]

يوم الاثنين الماضي، 17، على مائدة أنيقة، قال الرئيس جورج بوش، معتقدًا أنه في جو من الخصوصية، لتوني بلير، الذي كان يرتدي في ذلك اليوم ربطة عنق إنجليزية ضخمة وأنيقة باللون الوردي: *"ما عليهم فعله هو حمل سوريا على إجبار حزب الله على التوقف عن فعل هذا الهراء، وسينتهي الأمر"*. (ما عليهم فعله هو إجبار سوريا على إيقاف حزب الله عن القيام بهذا الهراء، وسينتهي الأمر). كان يشير إلى الصراع الجديد، القصف، المذبحة، العبثية بين إسرائيل ولبنان، أو بين إسرائيل ومقاتلي حزب الله —هذا الأمر غير واضح. صحيفة ديلي ميرور الإنجليزية، التي شعرت بالصدمة، عنونت: "بوش، ابدأ باحترام وزيرنا".

في عام 1941، قام إريك فروم بتحليل نفسي (في كتابه الخوف من الحرية) مفاده أن الذهب يعادل القذارة وأن احتباسها في الطفل ينذر بطابع الرأسمالية. من وجهة نظر النقد التاريخي، فإن رئيس الولايات المتحدة محق في شيء ما: هذا هراء. أوه، دعونا لا نكون لطفاء: على الرغم من أن المراحيض مزودة بصنابير ذهبية، فإن الحضارة لا تزال قائمة على مجاريها.

لكن لنعد إلى الموضوع. لطالما دافعت عن حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها. لم أتردد أبدًا في نشر مقال، أو أي شيء آخر، يشير إلى التناقضات والمرض الأخلاقي المتمثل في معاداة السامية. وسأستمر في

---

[7] يوليو 2006

ذلك لأن هناك شيئًا لا يمكنني التنازل عنه، شيئًا لا أتسامح فيه: فوق أي طائفة، فوق أي تقسيم تعسفي، فوق أي تعصب متوسط وعنيد، عنصرية، تمييز جنسي، طبقية، فوق أي شعور سخيف بالتفوق النبيل الوراثي، الإنسانية واحدة، إنها عرق واحد. عرق دائمًا مريض، لكنه العرق الوحيد الذي نملكه والذي لا يمكننا التخلي عن الانتماء إليه، حتى لو كنا نحسد أحيانًا الكلاب على حياتها الأكثر صدقًا.

على الرغم من كل هذا، لن أستطيع أبدًا تبرير مذبحة بريء واحد، ناهيك عن مئات، بحجة أن بينهم إرهابيًا. هذه الحجة أصبحت مكررة، في حين أن الضحايا —يا للصدفة— هم دائمًا، في معظمهم، الأبرياء، الجماهير، المجهولون، سواء كانوا عربًا أو يهودًا، عراقيين أو أمريكيين، ماكوا أو ماكوندي. من حين لآخر يموت زعيم أجنبي، بالطبع، مما يبرر نجاح كل الرعب الذي نرتكبه.

من يضع قنبلة ويقتل عشرة أو مائة شخص هو وحش، إرهابي. لكن قتل المئات من الأبرياء بقنابل "أكثر ذكاءً"، من بعيد ومن أعلى، هل هو إنجاز للقانون الدولي والتقدم من أجل السلام؟ الإرهابيون مجرمون لاستخدامهم دروعاً بشرية؛ أليس القادة الآخرون (لا أعرف كيف أسميهم) مجرمين أيضاً لقصفهم تلك "الدروع" كما لو كانت جدراناً حجرية وليس لحماً بريئاً لشعب؟ لأننا إذا قلنا أن هؤلاء الأطفال والشباب والشيوخ والنساء ليسوا أبرياء، فإننا مرضى مثل الإرهابيين. مع قليل من النفاق، بالطبع.

الآن، ماذا يمكن أن نتوقع من شعب يتعرض للقصف؟ حب الجار؟ التفاهم؟ بل أكثر من ذلك: هل يمكننا أن نتوقع الحد الأدنى من العقلانية من شخص فقد عائلته بسبب قنبلة، حتى لو كانت قنبلة محملة بالحق والعدالة والأخلاق؟ لا يمكننا أن نتوقع هذه المعجزة من أي من الطرفين. الفرق هو —كما نفترض— أن الإرهابي لا يهتم بأي نوع من العقلانية والتفهم من الطرف الآخر، في حين أننا نفترض أن الطرف الآخر يستند

إلى هذه القدرة البشرية، إن لم يكن كقيمة أخلاقية فعلى الأقل كاستراتيجية للبقاء، أو للتعايش، أو لأي من تلك الأشياء النبيلة التي نسمعها دائماً في الخطب. هذا النقص العقلاني في الكراهية البشرية هو انتصار للإرهاب. أولئك الذين يخلقونه أو يغذونه هم المسؤولون، بغض النظر عما إذا كان البيض أم الدجاجة أولاً.

ولكي يكون تشاؤمنا كاملاً، فإن كل تصعيد للعنف العشوائي في العالم هو أفضل تحذير وأكمل عذر لكي يفهم الآخرون المتخلفون الرسالة: من الأفضل أن تكون مشتبهاً به مسلحاً جيداً من أن تكون بريئاً غير مسلح. مثل أولئك السياسيين "الديمقراطيين" الذين يحصلون على الطاعة العمياء من أتباعهم على أساس الخوف من الخصم، فإن الإرهابيين الحاليين يحصلون على أتباعهم من زرع الكراهية هذا. الكراهية هي السم الأكثر ديمقراطية الذي تذوي به البشرية؛ نشتبه في أنه سيكون من المستحيل استئصالها من جنسنا البشري، لكننا نعلم أيضًا أنه على الرغم من فقدانها لمصداقيتها في عصر ما بعد الحداثة، فإن العقلانية وحدها قادرة على السيطرة عليها داخل معاقل الجحيم في اللاوعي الفردي والجماعي.

اشتكى رئيس الولايات المتحدة من أن كوفي عنان، الأمين العام للأمم المتحدة، يؤيد وقف إطلاق النار الفوري. "يعتقد أن هذا كافٍ لحل المشكلة". لا، بالطبع، متى كانت إحدى التدابير كافية للتغلب على المذابح في هذا العالم؟ لكن التوقف عن القتل هو شيء، أليس كذلك؟ أم أنك تعتبر أن مقتل مائتي شخص في في أسبوع ما هو إلا تفصيل بسيط؟ هل سيكون مجرد تفصيل بسيط إذا كان نصف هؤلاء يتحدثون الإنجليزية؟

في عام 1896، لاحظ أنخيل جافينيت في كتابه Idearium español، بشك ومرارة: "الجيش الذي يقاتل بأسلحة بعيدة المدى، وبمدافع رشاشة سريعة الإطلاق، وبمدافع عيار ثقيل، حتى لو ترك وراءه حقلًا مليئًا بالجثث، فهو جيش مجيد؛ وإذا كانت الجثث لذوي البشرة السوداء، فإنه يُقال إنه لا توجد جثث من هذا النوع. الجندي الذي يقاتل بالسلاح الأبيض ويقتل عدوه بطعنة حربة، يبدو لنا وحشيًا؛ والرجل الذي

يرتدي ملابس مدنية ويقاتل ويقتل، يبدو لنا قاتلًا. نحن لا ننظر إلى الحقيقة. نحن ننظر إلى المظهر".

لقد كانت أطروحتي دائمًا كما يلي: ليس صحيحًا أن التاريخ لا يتكرر أبدًا؛ إنه يتكرر دائمًا. ما لا يتكرر هو المظاهر فقط. كما أن تحذيري الأول لم يتغير: العنف العشوائي لا يزرع الموت فحسب، بل يزرع أيضًا ما هو أسوأ منه، ألا وهو الكراهية.

بعد الكتابة 2024

لدي رأي غير قانوني حول [redacted]في [redacted]

في الأول من مايو 2024، أقر مجلس النواب الأمريكي قانون التوعية بمعاداة السامية (*Antisemitism Awareness Act*). وكان السبب وراء الإلحاح على إقرار هذا القانون هو المظاهرات الحاشدة ضد [redacted]في عشرات الجامعات.

من الآن فصاعدًا، أي نقاش عام أو أكاديمي حول ما هو معاداة السامية وما ليس كذلك يتم تحديده مرة واحدة وإلى الأبد بموجب القانون، الذي يمنح وزير التعليم، المعلم [redacted]ميغيل كاردونا، سلطة أكبر لاتخاذ قرارات بشأن العقوبات والجزاءات، وفقًا لمعاييره العالية، حول ما هو معاداة السامية وما هو الحل الصحيح لمعضلة الترام الأخلاقية. وستكون أي مناقشة في إطار حدود الدولة الرائدة في العالم الحر و"*لا يمكن أن تكون موضوعًا* للتفسير" (المادة 6–أ).

يقول القانون الجديد إنه يستند إلى *قانون الحقوق المدنية* لعام 1964 الذي يحظر التمييز ضد الأشخاص بسبب عرقهم أو أصلهم القومي، وهو أمر رائع [redacted]، بالنظر إلى أن هذا القانون كان نتاج تحركات مشابهة للتحركات الحالية. كانت احتجاجات شديدة وشجاعة ضد العزل العنصري، و والتفوق الأبيض، والإمبريالية، وحرب فيتنام. في ذلك الوقت، تعرض دعاة قوانين الحقوق المدنية للهجوم والتشويه باعتبارهم خطرين وعنيفين، مثل [[redacted].

الآن، أحد المطالب الأكثر حساسية للطلاب، إلى جانب إنهاء [redacted]في [redacted]، هو سحب استثمارات رؤوس الأموال المالية

لجامعاتهم من صناعة الحرب القوية، وهو ما يعكس صدى النضالات الطلابية الأمريكية ضد نظام فصل عنصري آخر، وهو نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا. كان لمطالبهم تأثيرات متكررة في الثمانينيات، وفي العقد الثاني من هذا القرن، ومؤخراً، في التفاوض الفعال على سحب الاستثمارات من هذه الصناعات من قبل جامعة براون وجامعة روتجرز.

على الرغم من أن القانون الجديد يحاول أن يكون شاملاً، إلا أنه لا يذكر سوى مجموعة واحدة تحت الحماية لمعاقبة أي مظاهرة "ضد اليهود". أي انتقاد لدولة إسرائيل أو الصهيونية يُعتبر (الآن بموجب القانون الفيدرالي) معاداة للسامية.

يحدد القانون معيارًا فلسفيًا وحيدًا ورسميًا: "*التعريف العملي لمعاداة السامية الصادر عن التحالف الدولي لذكرى الهولوكوست*". وقد تعرضت هذه المنظمة لانتقادات متكررة بسبب مساواتها بين معاداة السامية وأي انتقاد لـ و سياسات دولة إسرائيل، وبسبب الخلط [redacted] بين معاداة السامية ومعاداة الصهيونية. لم يكن لـ "*تعريفها العملي لمعاداة* السامية" حتى يوم أمس أي عواقب قانونية مباشرة. أما الآن، فقد أصبح لها عواقب.

وفقًا للقانون، "*تتزايد معاداة السامية في الولايات المتحدة وتؤثر على الطلاب اليهود في المدارس والكليات والجامعات منذ مرحلة رياض الأطفال*". وهذا صحيح. لكن هذه الظاهرة لم تكن نتيجة للنشاط [[redacted] أو لليسار في العالم، بل نتيجة لعودة ظهور الجماعات النازية الجديدة واليمينية المتطرفة التي وسعت نفوذها في الحكومة والتي، كما هو الحال في أوروبا وأمريكا اللاتينية، عادة ما تكون مؤيدة [[redacted] بأي ثمن. يكفي أن نلقي نظرة على الليبرتاريين في الولايات المتحدة والبرازيل والأرجنتين وإيطاليا وفرنسا وأوكرانيا ودول أخرى.

وبالمثل، فإن حرية التعبير التي تحميها التعديل الأول للدستور قد أثبتت مرة أخرى ما كانت عليه منذ إقرارها في عام 1791: إنها حرية الرجل الأبيض، والرجل الثري، والمستعبد الإمبراطوري. عندما حاول المناهضون للعبودية ممارستها في القرن التاسع عشر، انتهى بهم الأمر إلى المضايقة والاضطهاد والسجن أو الإعدام.

"*مكافحة هذه الكراهية هي أولوية وطنية وحزبية يجب تنفيذها بنجاح من خلال نهج يشمل الحكومة والمجتمع بأكمله* ." إن قيام رجال الشرطة ببصق العلم الفلسطيني في حرم جامعي، وادعاء السياسيين أن الفلسطينيين يجب أن يُمحوا من على وجه الأرض، وادعاء الحاخامات أن البوذي أو أي شخص ينحني أمام يسوع يجب أن يموت بتهمة الوثنية، ليس خطاب كراهية أو تحريض على العنف. الإبادة والمضايقة الفعلية والمنهجية للفلسطينيين ليست خطاب كراهية لأنها ليست خطابًا.

بصرف النظر عن ميليشيا منظمة تعمل في الخفاء، مثل أي مستعمرة، لا يملك الفلسطينيون جيشًا خاصًا بهم. إذا دافعوا عن أنفسهم باستخدام القوة، كما يعترف بذلك المنطق السليم والأمم المتحدة كحق، فإنهم إرهابيون. علاوة على ذلك، فهم غير موجودين. إنهم نتاج خيال أولئك الذين يكرسون أنفسهم لـ "خطاب الكراهية".

كما قال أعضاء حكومة نتنياهو أنفسهم، الفلسطينيون غير موجودين، علاوة على ذلك، فهم من نسل عماليق، ولذلك يجب إبادة الرجال والأطفال وفقاً لأمر من الله أعطاه إلى وزير الدفاع الحالي، بن غفير، قبل ثلاثة آلاف عام. كما قالت غولدا مائير، "*لا يمكننا أن نغفر لهم إجبارنا على قتل أطفالهم*". لكن هذا ليس عنصرية ولا هجومًا على مجموعة بشرية بسبب أصلها العرقي أو الديني. على العكس من ذلك، يحمي القانون السياسيين الأمريكيين والحكومة [[redacted]الإسرائيلية من الاتهام بـ قضاء على عشرات الآلاف من الأطفال والبشر الآخرين

في غزة بسبب حماس—لسبب غامض، لا يموت المختطفون من قبل حماس أبدًا تحت أي قصف [[redacted]

القانون هو إنجاز من إنجازات الإبداع التشريعي، حيث يمنح الحصانة لمجموعة معينة من البشر ويستبعد آخرين. جميع الدعوات إلى إبادة الفلسطينيين، التي كررتها السلطات والصحفيون ورجال الدين مرات لا حصر لها، لا تؤخذ في الاعتبار، وبالتالي فهي غير قابلة للعقاب. بل على العكس، أصبحوا الآن محميّين من أي انتقاد. لا يمكن للمحكمة الجنائية الدولية ولا لمحكمة العدل الدولية ولا لأي قانون أن ينتهك حق إسرائيل المقدس والإلهي في [[redacted]مائة ألف شخص في أقل من عام باسم الدفاع عن النفس.

منذ عدة أجيال، يتم قمع أي رد فعل على هذا الحق الإلهي باعتباره إرهابياً. كما قال سفير إسرائيل جلعاد إردان في الأمم المتحدة في اليوم السابق: "*لقد عرفنا دائماً أن حماس تختبئ في المدارس. لم ندرك أنها موجودة أيضاً في هارفارد وكولومبيا والعديد من الجامعات النخبوية*". بعد ذلك بوقت قصير، عقد السناتور عن ولاية أركنساس توم كوتون مؤتمراً صحفياً شجب فيه "غزة الصغيرة" في حرم الجامعات. وكما هو الحال في غزة، تعرض الطلاب المؤيدون للفلسطينيين لقمع عنيف من قبل الشرطة والجماعات المؤيدة للصهيونية .

لذلك يجب معاقبته هناك أيضًا. ينص القانون الجديد على أن هدفه هو "*توسيع صلاحيات وزير التعليم*" لمنحه حرية معاقبة من لا يفهمون ما تفهمه الحكومة. وينتهي القانون بالجملة التالية، التي تليق بديني يفسر نصاً مقدساً: "*لا يجوز تفسير أي شيء في هذا القانون*". قبل قرن من الزمان، في إيطاليا، كان هذا يسمى [[redacted]

عندما يشعر شخص ما بالإهانة من احتجاج [redacted] الذي شارك فيه 70 ألف شخص، أكثر من نصفهم من الأطفال والنساء،

وجميعهم تقريبًا (بشكل غير عادل) غير مسلحين، ولكن لا يزعجهم [redacted] الذي شارك فيه 70 ألف شخص، فإن الأمر لا يحتاج إلى تفسير.

لم يكتف النازيون بإغلاق مدرسة باوهاوس التاريخية للهندسة المعمارية التي اعتبروها فاسدة، بل أعلنوا أن نظرية النسبية نظرية خاطئة لأن مؤلفها كان يهوديًا، في الوقت الذي حظروا فيه آلاف الكتب لكونها *معادية لألمانيا*. الآن [redacted]. نحن نستمر في الاقتراب من نفس هذا السريالية.

من الآن فصاعدًا، في أكبر ديمقراطية في العالم الحر، سيتعين علينا أن نصبح أكثر شاعرية ونسيء استخدام الاستعارات، كما في عهد نيرون، الذي كان يُشار إليه بالرقم 666 (، اسمه في الأبجدية العبرية) لأنه، على الرغم من وجود قدر من حرية التعبير، كانت هذه الحرية محظورة عندما تؤثر بشكل فعال على السلطة الإمبراطورية في ذلك الوقت.

ماذا تعلمنا من الطلاب؟

أحد المظاهر الطبيعية لأي سلطة اجتماعية متحجرة في قمة الهرم الاجتماعي هو تقسيم الطبقات الدنيا. تكمن النسخة الرأسمالية من هذا القانون القديم، *"فرق تسد"*، في التلقيح الصريح للعنصرية وفي تفكيك وتشتيت وإحباط أي منظمة اجتماعية غير نقابة المليونيرات، أولئك الذين يمكنهم إضراب رؤوس أموالهم متى شاءوا (باسم الحق المقدس في الملكية الخاصة لرؤوس أموالهم) والضغط على الشعوب بالفقر والجوع كلما قررت هذه الأخيرة أن تفعل الشيء نفسه: التوحد للدفاع عن حقوقها الفردية ومصالحها الطبقية وكرامتها كشعوب مستعمرة.

يبدو الاحتجاج الطلابي الأمريكي الضخم ضد المذبحة في غزة، الذي أشعل إلى حد كبير فتيل انتفاضات أخرى في بلدان غربية أخرى، *ظاهرة متناقضة*. على الأقل هذا ما عبر عنه الصحفيون الذين استشاروني حول هذا الموضوع.

مثل كل مفارقة، يبدو المنطق متناقضاً: في البلد الذي يشتهر مواطنوه بجهلهم الجيوسياسي، وعدم اهتمامهم، إن لم يكن عدم حساسيتهم تجاه حروبهم الإمبريالية ووطنيتهم العمياء، وإدمانهم الاستهلاكي، وتطرفهم العسكري والديني، تنتمي الاحتجاجات الطلابية إلى تقليد بدأ في الستينيات مع الحركات المناهضة للحرب، واستمر في الثمانينيات مع احتجاجاتهم ضد الفصل العنصري في جنوب إفريقيا، ولاحقاً مع العديد من المطالبات والطلبات من إدارات جامعاتهم القوية بسحب استثماراتها من صناعة الحرب والسجون الخاصة والتلوث البيئي.

كما في جميع الحالات، تم محاولة تشويه سمعتهم باعتبارهم شبابًا غير مسؤولين ومتخيلين، في حين أنهم كانوا، على وجه التحديد، أكثر الشباب اطلاعًا وشجاعة في مجتمعهم، على الرغم من أنهم لا ينتمون

إلى مجموعة غارقة في العنف الناجم عن الاحتياجات الأساسية. وهذا ليس صعباً على التفسير: فليس فقط المعرفة غير التجارية، وليس فقط المثالية الأقل فساداً لدى الشباب هي التي تفسر هذه الردّة الفعل، بل إنّ لا أحد يستطيع أن يتخيّل نقابة *للمشردين* تنظّم نفسها للمطالبة بظروف معيشية أفضل، ليس لأنهم منتجون بل لمجرد أنهم بشر.

لكنني أعتقد أن هناك سببًا آخر يفسر هذه الظاهرة، وربما يكون أحد الأسباب الرئيسية. كما أشرت في البداية، كان تقسيم الطبقات الدنيا دائمًا سلاحًا للهيمنة من قبل الطبقات العليا. يمكنني أن أذكر عددًا لا حصر له من الأمثلة الحاسمة في القرنين الماضيين، ولكن القاعدة أساسية لدرجة أن قلة قليلة من الناس يشككون فيها. أحد مظاهرها، وهو التسريح، كان ولا يزال سياسة غير مكتوبة ولكنها متأصلة في النظام الرأسمالي نفسه: أولاً، التسريح عن طريق تفكيك وتشويه صورة المنظمات الاجتماعية، مثل نقابات العمال. ثانياً، من خلال عزاء الكنائس التي دعمت أو بررت في معظمها السلطة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. ثالثاً، من خلال العلمانية المقدسة الوحيدة التي سُمح بها: الاستهلاكية وعقيدة الفردية. الأنانية والجشع، اللذان كانا لقرون خطيئتين بين المسيحيين الجماعيين في القرون الثلاثة الأولى من وجودهم في غير شرعية، وخطايا أخلاقية في معظم الفلسفات الاجتماعية القديمة، أصبحا في القرن السادس عشر فضيلتين مقدستين لإرضاء ودعم حمى الأيديولوجية الرأسمالية الجديدة.

ولكن لنعد إلى الحالة المحددة للطلاب الأمريكيين. أي شخص كان طالبًا أو أستاذًا في الولايات المتحدة لديه فكرة واضحة عن كيفية سير الحياة في الجامعات. على الرغم من أن بعضهم ينتمون إلى الطبقات العليا ولا يحتاجون إلى منح دراسية أو قروض لأن آباءهم يدفعون تكاليف دراستهم بالكامل، فإن الغالبية العظمى يأخذون أموالًا من مستقبلهم الخاص لدفع رسوم الدراسة الأغلى في العالم. والبعض الآخر، الأكثر حظًا أو الجدارة في البداية، يحصلون على منح دراسية. على أي حال،

دون تمييز بين الطبقات على الرغم من وجودهم في نظام وطني وعالمي شديد التمييز، حيث الامتيازات والصراع الطبقي لا يقلان شراسة، فإن هذه الاختلافات تتلاشى في الحرم الجامعي حتى تكاد تختفي. هذه هي النقطة الأولى.

النقطة الثانية، التي تتناقض أيضاً مع بقية الواقع الاجتماعي، تكمن في التفاعل الاجتماعي الدائم والجماعي، شبه العائلي، بين طلاب الجامعات. يعيش جزء كبير (وأحياناً الغالبية العظمى) في شقق الحرم الجامعي. أما من لا يعيشون هناك، فهم كمن يعيشون هناك. في فصولي الدراسية، على سبيل المثال، لا يزيد عدد الطلاب الذين ينتمون إلى المدينة التي تقع فيها الجامعة عن 10 في المائة، على الرغم من أن جاكسونفيل يبلغ عدد سكانها مليون نسمة. يأتي معظمهم من ولايات بعيدة مثل نيويورك أو كاليفورنيا وقارات مختلفة مثل أوروبا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا. سأفاجأ إذا لم يكن لدي فصل دراسي بهذا النمط في الفصل الدراسي المقبل. هذا التنوع الرائع (صحيح أن الفقراء هم أقلية، ولكنهم موجودون بسبب المنح الدراسية) ينتج وعيًا إنسانيًا وعالميًا لا يوجد في التعصب الريفي السائد في معظم بقية المجتمع، وهو أكثر شهرة في بقية العالم، لأن السخف والعبثية عادة ما ينتشران ويصبحان فيروسيين بشكل أسرع.

النقطة الثالثة (هي الأولى بالنسبة لهذه التأملات) تكمن في أن هذا النمط من الحياة لا يعرض الشباب لأفكار مختلفة في فصولهم الدراسية فحسب، بل لأشكال مختلفة من الحياة في التعايش مع زملائهم الأجانب، من التسلية بالرياضة، وحفلات الشواء في الحدائق، إلى بعض الحفلات الصاخبة في نوادي الطلبة والطالبات مع مزاحهم المفرط — ذات يوم وصلت إلى مكتبي عندما كانت الشمس تشرق، وفي الطريق، وجدت سراويل داخلية وحمالات صدر معلقة على شجرة أمام مدخل مبنى أدرّس فيه عادة. أمور شبابية.

بصفتي أستاذًا، كنت عضوًا في لجان مختلفة، مثل لجنة الطلاب، وعلى الرغم من أن انتقادي للنظام الجامعي الأمريكي يكمن في أنه ليس ديمقراطيًا مثل نظام أوروبا أو أمريكا اللاتينية لأن الطلاب، على سبيل المثال، لا يصوتون، إلا أنهم، على أي حال، يتمكنون من تنظيم أنفسهم والمطالبة بما يعتبرونه عادلًا وضروريًا.

بمعنى أن الطلاب ليسوا جاهلين أو غير منظمين أو خائفين كما سيكونون عندما يصبحون جزءًا من الآلة. وهذا يجعلهم *خطرين* على النظام، وهو ما يفسر احتجاجاتهم القوية في 50 حرمًا جامعيًا في جميع أنحاء البلاد من أجل قضية حقوق الإنسان التي اعتبروها عادلة وضرورية وملحة.

يجب أن يُفهم مثال الطلاب الذين لا يملكون سوى قوتهم الجماعية بالجدية التي يستحقها. أول من فهم ذلك كان السلطة السياسية (الاقتصادية والإعلامية)، ولهذا السبب لم تسمح فقط بالعنف ضد الطلاب، بل قمعتهم بعنف غير عقلاني، واعتقلت 3000 منهم ولم تعتقل أيًا من الفاشيين الذين بدأوا العنف في الكابوتس.

ومن النتائج الطبيعية لذلك الحاجة الملحة إلى أن يعيد باقي المجتمع تنظيم نفسه في مجموعات واتحادات، ليس فقط نقابات عمالية، بل اتحادات من جميع الأنواع، من اللجان السياسية الشعبية إلى لجان الأحياء. ويمكن تحقيق ذلك باستخدام نفس أدوات الانقسام والتفكيك التي استُخدمت ضده: التكنولوجيا الرقمية.

سيكون لدينا عالم جديد عندما ينضم الأفراد إلى مجموعات مختلفة، إلى جمعيات مختلفة، حتى لو كانت افتراضية، للمناقشة، للاستماع، لتقديم المقترحات، للشعور بالانتماء إلى شيء يتجاوز الفردية الفقيرة للاستهلاك. إذا كان البشر أنانيين، فإننا لسنا أقل إيثاراً. عندما نحدد قضية عادلة، نناضل من أجلها بما يتجاوز مصالحنا الخاصة. هناك أمثلة كثيرة على ذلك.

هل سنفهم مرة أخرى أن المصلحة المشتركة للبشرية، للجنس البشري، هي، على الأقل على المدى الطويل، المصلحة الأكثر أهمية للفرد؟ في استعادة هذا الإحساس بالانتماء للمجتمع، في هذا الانخراط، يكمن خلاص الفرد والإنسانية.

بمرور الوقت، ستنجح هذه المجتمعات المتعددة على مستويات مختلفة وذات مصالح مختلفة في وقف تدفق التبرعات الطوعية والضرائب إلى المليارديرات الذين يشترون الرؤساء والسناتورات والجيوش والرأي العام العالمي نفسه. لأن الأغنياء لا يتبرعون، بل يستثمرون. عندما لا يستثمرون في السياسيين والقضاة والصحفيين، فإنهم يستثمرون في سوق الأخلاق. كقاعدة عامة، وليس كاستثناء، فإن الأغنياء لديهم دائمًا دافع شخصي للتبرع.

نحن البشر نتحرك بدافع المصلحة الشخصية والقضية الجماعية. لا داعي لتوضيح أيهما، من الناحية السياسية والمثالية، هو اليمين وأيهما هو اليسار. على أي حال، كلا المصلحتين إنسانيتان ويجب أخذهما في الاعتبار في المعادلة التي ستجعل هذا النوع من البشر المتلهف والعنيف وغير الراضٍ أفضل. ولهذا، يجب أن تتوقف الأغلبية عن كونها طبقة قابلة للاستبعاد وغير ذات أهمية.

نفس الحقائق. وعي جديد؟

"عاش داود في أراضي الفلسطينيين [سكان كنعان من غزة الحالية حتى الأردن] *لمدة سنة وأربعة أشهر (...) كان يدمر المنطقة ولا يترك رجلاً أو امرأة على قيد الحياة؛ كان يستولي على الأغنام والثيران والحمير والجمال والملابس ويعود إلى أخيس. لم يترك داود رجلاً ولا امرأة على قيد الحياة، حتى لا يضطر إلى أخذهم إلى جات، لأنه قال: "لا يحلو أن يتكلموا ضدنا ويبلغوا عنّا الفلسطينيين". هكذا كان داود يتصرف طوال الوقت الذي سكن فيه في أرض الفلسطينيين".*

1 صموئيل، 27 7

I

في عام 1995، جبت لبنان والأردن وفلسطين وإسرائيل سيرًا على الأقدام. على الطرق المدمرة، كان الأطفال الفلسطينيون يرمونني بالحجارة الصغيرة ظنًا منهم أنني يهودي (*"Juif!"*). وكان الأطفال اليهود يبصقون عليّ ويقولون إنهم سيقتلون جميع المسيحيين (إشارة بإصبعهم إلى حلقهم: *"all you Christians"*). لكن حماسي وفضولي تغلبوا على أي عائق. تم اعتقالي في عدة أماكن، آخرها لمدة ساعتين في مطار تل أبيب؛ لم يفهم الضباط كيف يمكن لطالب فقير (ابن نجار أوروغوايي، ينام في شوارع الأردن ويتغذى على آيس كريم من آلة آيس كريم في القدس) أن يدور حول العالم في تسعة أشهر. كما قالت أوريانا فالاسي:

"[______] *يجب أن يدفع ثمن تذاكر الطيران للفقراء الذين يأتون للتبول في ساحاتنا الجميلة*".

بعد وقت قصير من هبوطي في روما، علمت أن إسحاق رابين قد اغتيل على يد متطرف يهودي غاضب من محادثات السلام. منذ ذلك الحين، ساءت الأمور أكثر فأكثر. قبل عام، وبعد أسبوع من سماع القصة التوراتية عن القضاء على جميع سكان أمالك، وهو أمر صدر قبل 3000 عام، قام باروخ غولدشتاين، من نيويورك، بذبح 29 مسلماً في مسجد في الخليل. كتب بيتر بينارت، وهو يهودي أرثوذكسي من *نيو ريبابليك*، أن "*حكمة التقاليد الحاخامية كانت في إعلان أننا لم نعد نعرف من هو عماليق؛ وهذا يحد من المعنى الواضح والإبادة الجماعية للنص التوراتي*". عندما يؤكد نتنياهو أنه يعرف من هو أمالك، "*فإنه يهدم الهيكل الأخلاقي الذي أنشأته التقاليد اليهودية ويؤكد على حرفية الكتاب المقدس التي هي غريبة عن اليهودية على مدى الألفي عام الماضية، وبالنظر إلى قوته العسكرية، فإن ذلك أمر مخيف*".

لكن من الخداع اختزال كل السياسة العسكرية لإسرائيل في رجل واحد أو مجلس وزاري يكرر نفس الحاجة إلى "*قتل الجميع، بما في ذلك* الأطفال"، لأنهم سيكونون "*إرهابيي الغد*"، وكأن ذلك لا يكفي، فإنه يتهم منتقديه بالعنصرية. إنه مثال لا يضاهى على التعصب الديني المقترن بقوة عسكرية لا جدال فيها وقوة إعلامية بدأت تتصدع في جميع أنحاء العالم.

II

أترجم هنا رسالة المرشحة للرئاسة جيل ستاين التي أرسلتها بالبريد إلى أولئك الذين يتابعون عن كثب مسيرتها السياسية في الولايات المتحدة،

وهي حالة نادرة في نظام يسمى *ديمقراطياً* ولكنه مختطف من قبل شركات عملاقة سرية مثل BlackRock و Vanguard وغيرها من الطوائف.

لا شيء مما تفضحه شتاين هو جديد، حيث أن العديد من وسائل الإعلام الأخرى والسجناء والعاملين في المجال الإنساني قد فضحوا انتهاكات مماثلة لسنوات. عندما تم الإدلاء بهذه الاتهامات، وصف الحكومة الإسرائيلية المنظمات بأنها "منظمات إرهابية" ووصف منتقديها بأنهم *معادون للسامية* أو "متعاطفون مع حماس". كان هذا هو الحال، على سبيل المثال، بالنسبة لمنظمة *الدفاع عن الأطفال الدولية* التي ينتمي إليها جوش بول، الموظف في وزارة الخارجية الأمريكية. بعد دراسة دقيقة حول شكوى اغتصاب شاب فلسطيني يبلغ من العمر 13 عامًا في سجن إسرائيلي في القدس، داهم الجيش الإسرائيلي مكاتب المنظمة، وأخذ جميع أجهزة الكمبيوتر، وأعلنت تل أبيب أن المنظمة غير الحكومية "كيان إرهابي".

تجدر الإشارة إلى أن السجون الإسرائيلية تضم 9500 سجين فلسطيني لم يحاكموا وفقاً للإجراءات القانونية الواجبة، وذلك بناءً على اتهامات بنشر صور أو شكاوى ضد الاحتلال أو رشق الدبابات بالحجارة. في أي نظام قضائي، لا يمكن اعتبار السجناء القاصرين سوى مختطفين.

كما أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) لديها عشرات السجون السرية في جميع أنحاء العالم، لا تنطبق عليها أي قوانين أمريكية أو دولية. أقل سرية ولكن بنفس القدر من الإفلات من العقاب، كان ولا يزال غوانتانامو، المكان الذي تنتهك فيه جميع حقوق الإنسان في كوبا دون أن تتمكن هافانا أو أي حكومة أخرى في العالم من إدراج واشنطن في قائمة "الدول التي تشجع الإرهاب".

يختتم شتاين رسالته بشيء لا أعتقد أنه بديهي، لكنه بلا شك عنصر أساسي في الصراع: *"يمكن لبايدن أن ينهي كل هذا الآن بمجرد مكالمة هاتفية . بدلاً من ذلك، تواصل حكومتنا توجيه الأسلحة والأموال إلى إسرائيل*".

III
رسالة جيل ستاين

إنه رعب فوق رعب. حتى في الوقت الذي تغلق فيه الدبابات الإسرائيلية معبر رفح على الحدود المصرية ويشتد الحصار على غزة، صدر اليوم تقرير جديد ومثير للاشمئزاز من شبكة CNN يكشف عن سجن سري في الصحراء حيث تقوم قوات الاحتلال الإسرائيلية بتعذيب المعتقلين الفلسطينيين.

يقول رسم بياني مع عنوان نشر يوم الجمعة 10 مايو 2024: "مقيدون، معصوبي الأعين، يرتدون حفاضات: مبلغون إسرائيليون يصفون بالتفصيل إساءة معاملة الفلسطينيين في مركز احتجاز مظلم".

هذا ما نعرفه: قدم ثلاثة مبلغين إسرائيليين تفاصيل وأدلة فوتوغرافية عن التعذيب النفسي والجسدي، بما في ذلك الإذلال الطقوسي ونزع الصفة الإنسانية، لمواطنين فلسطينيين مسجونين بشكل غير قانوني في صحراء النقب في إسرائيل.

وصف المبلغون بتر أطراف السجناء بسبب الإصابات الناجمة عن تقييدهم بالأصفاد باستمرار وإجراءات طبية أجراها موظفون غير مؤهلين، مشيرين إلى أن هذا السجن يُعرف باسم "جنة الجحيم".

الصور التي شاركها المبلغون مروعة للغاية بحيث لا يمكن مشاركتها هنا. إنه تراجع صادم مشابه لما عاناه العراقيون الأبرياء الذين

اعتقلوا في سجن أبو غريب وتعرضوا للتعذيب على أيدي القوات والمتعاقدين الأمريكيين، وهو تعذيب تم الكشف عنه للعالم قبل 20 عامًا و12 يومًا بالضبط.

لا نعرف العدد الإجمالي للفلسطينيين الذين تم احتجازهم في معسكرات اعتقال مثل سدي تيمان. ما نعرفه هو أنهم بالآلاف (إن لم يكن بعشرات الآلاف) وأنهم اعتقلوا من قبل الجيش الإسرائيلي في كل من غزة والضفة الغربية. لا نعرف عدد السجون السرية الأخرى الموجودة، ويمكننا أن نكون على يقين من أننا لم نسمع بعد أسوأ ما في الانتهاكات.

من الجدير بالذكر أن بايدن يمكنه إنهاء كل هذا الآن بمجرد مكالمة هاتفية واحدة. بدلاً من ذلك، تواصل حكومتنا تزويد إسرائيل بالأسلحة والأموال بشكل عشوائي.

إن التغطية الدبلوماسية المستمرة وغير المشروطة من قبل حكومتنا لهذه الفظائع تجعل بلدنا شريكًا في جرائم الحرب التي ترتكبها إسرائيل.

لنوقف الأسلحة والمساعدات للحرب. لنفرض حظراً على هذا الوحش. على العالم أن يتحرك *الآن*.

في تضامن، جيل ستاين

ألغاز وأسئلة حول إبادة جماعية جديدة توراتية

في مايو 2024، قالت النائبة تالي جوتليف في خطاب لها في الكونغرس الإسرائيلي: "الولايات المتحدة تهدد بعدم إرسال المزيد من الصواريخ الدقيقة إلينا. لدي خبر للولايات المتحدة: لدينا صواريخ غير دقيقة! لذا، بدلاً من استخدام صاروخ دقيق لتدمير غرفة أو مبنى، سنستخدم صواريخ غير دقيقة لتدمير عشرة مبانٍ. إذا لم تعطونا صواريخ دقيقة، فسنستخدم صواريخ غير دقيقة".

تم تدمير ثمانين في المائة من غزة بسبب القصف المكثف. آلاف الأشخاص مفقودون تحت الأنقاض. الآلاف سيموتون (بل إنهم يموتون بالفعل) من الجوع والأمراض التي يمكن الوقاية منها أو علاجها، كما أفاد الأطباء الدوليون.

في غضون ذلك، يُطالب بالإفراج عن المختطفين من قبل حماس كشرط و"حل نهائي" للصراع، وهو ما يعادل القول إن أي شخص يختطف أحد أفراد عائلتي، فإن لي الحق في قتل ألف أو عشرة آلاف من سكان حيه ووصف ذلك بـ"الآثار الجانبية". ومن هنا، فإن أحد الحجج المفضلة، التي تعمل كمبرر للمذابح المتكررة ، هو: "لماذا لا يحتج الطلاب في الولايات المتحدة على المختطفين من قبل حماس؟" ويتم اتهامهم بأنهم *معادون للسامية، لأنهم مؤيدون لحماس،* كما قال مشرعون أمريكيون والسفير الإسرائيلي لدى الأمم المتحدة. يُتهم الطلاب بأنهم يشعرون بألم أكبر تجاه بعض الضحايا أكثر من الآخرين، ولذلك يجب سن تشريعات تحظر الكراهية، إلخ.

هذه الاتهامات لا تجتاز الاختبار الأول للمعاملة بالمثل الأخلاقية، لكن الإجابة عن سبب احتجاج الطلاب بسيطة:

إنهم يحتجون ليس على حادثة وقعت في 7 أكتوبر، بل على مذبحة مستمرة، جارية ودون هوادة.

إنهم يحتجون على جذور المشكلة، التي بدأت منذ أجيال وما زالت تسمم بقية العالم منذ ذلك الحين.

إنهم يحتجون لأنهم شركاء غير طوعيين ومقاومون لشيء يعتبرونه غير أخلاقي. أموالهم، التي يجب أن يقتطعوا منها من مستقبلهم حتى يتمكنوا من الدراسة، بالإضافة إلى الضرائب التي يدفعها الأمريكيون، لا تُرسل إلى المقاومة الفلسطينية، بل تُرسَل بشكل منهجي ودون حدود إلى الجيش الإسرائيلي لتسريع تلك المذبحة والاستمرار في تجريد شعب لا يملك حتى الحق في الاحتجاج من إنسانيته، كما ثبت على مدى سنوات.

إنهم يحتجون على فصل عنصري أكثر وحشية من ذلك الذي كان سائدًا في جنوب إفريقيا، كما وصفته الضحايا بالتفصيل، وكما يمكن لأي شخص أن يرى في مقاطع الفيديو الشهادات أو يقرأ في تقارير الإسرائيليين واليهود الذين لم يتم تجريدهم من إنسانيتهم بسبب التعصب الديني والسياسي والشوفيني الذي يتم تدريسه في المدارس ووسائل الإعلام.

إنهم يحتجون لأنهم أدركوا أن الديمقراطية والحرية للجميع تشبه العبارة الفخورة"*نحن الشعب*"، حيث "الشعب" في النظرية هو نحن جميعاً، ولكن في الممارسة العملية هو فقط مجموعة صغيرة في السلطة في نظام يخدمه العبيد.

إنهم يحتجون لأن 2500 منهم قد تم اعتقالهم بسبب احتجاجهم، في حين لم يلق أي من المجموعات المناهضة للاحتجاجات التي بدأت المواجهات في الجامعات نفس المصير.

إنهم يحتجون لأنهم يتعرضون للتهديد بإدراجهم في قوائم سوداء من قبل الشركات الكبرى.

إنهم يحتجون لأن أولئك الذين لم يتم اعتقالهم بعد بسبب احتجاجهم قد تم إخطارهم بأن وجوههم يتم تسجيلها بواسطة الكاميرات، وبواسطة أنظمة الذكاء الاصطناعي الجديدة وأنظمة الذكاء الأيديولوجي القديمة.

إنهم يحتجون لأنهم لا يُسمح لهم بالاحتجاج.

ألا يحق لإسرائيل الدفاع عن نفسها؟

ألا يحق للفلسطينيين الدفاع عن أنفسهم؟

وماذا عن المختطفين؟

المختطفون البشر أم المختطفون دون البشر؟

يوجد حالياً 9500 مختطف في سجون إسرائيل، محتجزين دون محاكمة عادلة. وقد مات الكثيرون في تلك الزنازين بعد أن قضوا سنوات في الحبس. وكما أقرت جيل ستاين، يُقدر أن هناك عشرات الآلاف من المعتقلين في سجون سرية في إسرائيل، يتعرضون للتعذيب والإذلال والبتر. ومعظمهم ليسوا فلسطينيين من غزة، بل هم نتاج تقليد طويل من الاعتقالات التعسفية في الضفة الغربية على يد الجيش الإسرائيلي. وكثير منهم من القاصرين. وقد أدلى بعض العسكريين الإسرائيليين بشهادات عن الانتهاكات والتعذيب الذي يمارس في هذه السجون. وقد نددت منظمات أخرى بالاعتداءات الجنسية على القاصرين المحتجزين، والتي وصفتها الحكومة الإسرائيلية لاحقاً بأنها معادية للسامية أو "مجموعات إرهابية".

في هذا التصعيد الأخير للعنف الذي بدأ بهجوم حماس في 7 أكتوبر 2023 (الفصل الأخير من تاريخ طويل من الاحتلال العنيف لفلسطين، وتشريد سكانها الأصليين، والوحشية، ونزع الصفة الإنسانية، وتشويه صورة ومقاومة شعبها ووصفها بـ"الإرهابيين"، وهو تاريخ يمتد لعدة أجيال)، لا يزال هناك لغزان كبيران:

أسئلة: I

لماذا تم تنظيم مهرجان موسيقي على بعد بضعة كيلومترات من الحدود مع غزة؟

ألم تكن أجهزة الاستخبارات الأقوى في العالم على علم بخطط حماس؟

لماذا سمحت الحدود الأكثر حراسة في العالم لمجموعة من المسلحين بالعبور لقتل واحتجاز رهائن، في حين أن رد الفعل استغرق عدة ساعات، وعندما تم، لم يمنع عمليات الاختطاف، بل قتل مواطنيه بنيران جوية؟

ألم يكن هذا الهجوم ذريعة مثالية ومصممة بعناية لإنهاء "قتل جميع سكان أمالك" واحتلال نقطة استراتيجية باسم "الحق في الدفاع" الشهير؟

أسئلة: II

لماذا أدى التدمير العشوائي لغزة بالقصف الجوي المكثف الذي يكلف عدة ملايين من الدولارات يومياً إلى "آثار جانبية" أسفرت عن مقتل 40 ألف بريء، ثلثيهم من الأطفال والنساء، ولكنها لم تقتل أي مختطف إسرائيلي على ما يبدو؟

لماذا لا تخشى تل أبيب قتل أي إسرائيلي مختطف عندما تلقي قنابل تدمر أحياء بأكملها؟

هل هم متأكدون إلى هذا الحد من عدم وجود أي من المختطفين مختبئين هناك، ويستخدمون كـ"دروع بشرية"؟

أم أن هؤلاء لا يهمونهم أيضاً، لأن الهدف ليس تحريرهم بل استمرار نهب "الفلسطينيين دون البشر" من قبل "شعب النور"؟

هل تعرف المخابرات الإسرائيلية مكانهم ولا تقصف تلك النقاط الصغيرة؟

كيف يمكن لأحد أقوى أجهزة الاستخبارات في العالم، يعمل مع أحد أقوى الجيوش في العالم، دون أي قيود تقنية أو أخلاقية، أن يدعي أنه

عثر على أنفاق فارغة وغير موجودة، وأطفال إرهابيين، لكنه لا يستطيع العثور على أي من المختطفين؟

إذا كان كل القصف والتدمير قد تم دون تعريض حياة المختطفين للخطر، فهذا يعني فقط أن المخابرات والجيش وحكومة نتنياهو يعرفون تمامًا مكان المختطفين ومكان خاطفيهم.

لماذا لم يذهبوا لإنقاذهم، بل على العكس، كرسوا أنفسهم لذبح السكان بما يعادل 7 أكتوبر كل أسبوع لأكثر من سبعة أشهر؟

أعتقد أنه لا داعي لأن تكون عبقرياً لتجيب على هذه الأسئلة، لكن الإجابات خطيرة للغاية. أم أنكم ستجرمون الأسئلة غير الملائمة أيضاً؟

أقنعة العنصرية

كل حدث تاريخي يتجلى في مواقف محددة، وليست مجردة أبدًا، مما يخلق الوهم بخصوصية القوى التي تولده. لا أحد يحب ويكره بشكل مجرد، حتى لو كان موضوع هذا الحب (علم، رمز) وهذا الكره (علم آخر، رمز آخر) نتيجة خيال قبلي محموم ونتيجة صراع اجتماعي على "المجالات الدلالية" وتقييماتها الأخلاقية. لقد قمنا بتحليل هذا بالفعل في كتاب *La narración de lo invisible (سرد ما هو غير مرئي)*، 2004.

الكراهية تولد الكراهية وتوزعها بشكل مناسب حتى تصل إلى حد الخلط بين العنصري والغاضب. لا أحد يكره بشكل مجرد. لا أحد يقتل بشكل مجرد. لا توجد كراهية بدون ضحية محددة. حتى الطيارون الذين يرون الواقع كأنه لعبة فيديو أو مشغلو الطائرات بدون طيار على بعد آلاف الكيلومترات يقتلون بشرًا محددين، ومن يرتكبون هذه الجرائم هم بشر محددون يختبئون بعد ذلك وراء أكاذيب محددة، تتجاوز النص المكتوب، كما رأينا منذ ما لا يقل عن ثلاثة عقود.

ومع ذلك، إذا ألقينا نظرة أوسع ما يمكن على التاريخ وحاولنا تجريد تلك القوى، تلك العوامل المشتركة في عصرنا وفي عصر بيلاطس البنطي، فسنرى ما هو أكثر من مجرد الأحداث العرضية والمحددة. هذه الفكرة الأفلاطونية (الحقيقة هي تلك الثابتة التي تتجاوز فوضى المظاهر المرئية) لا تزال أساس أي تفكير علمي. لم تكن الفلسفة، من العلوم والعلوم الأولية، من الاقتصاد الفوضوي إلى الفيزياء الكمومية، سوى ذلك. كما قال أحد شخصيات إرنستو ساباتو، يكمن السحر في فهم أن الحجر الذي يسقط والقمر الذي لا يسقط هما نفس الظاهرة.

على عكس المظاهر، لا يوجد عنصرية ضد مجموعة معينة. لا توجد عنصرية محددة وشاملة. العنصريون لا يكرهون عرقًا أو إثنية أو شعبًا واحدًا فقط. هذا الالتباس هو أحد *الالتباسات الاستراتيجية* الكلاسيكية التي يستخدمها العنصريون لتحقيق تحالفات مؤقتة لصالح قضيتهم. قد يكون هناك عنصرية بيضاء وعنصرية سوداء، وعنصرية سامية وعنصرية معادية للسامية، لكن العنصري هو شخص مريض جسديًا وروحيًا ويكره كل من لا ينتمي إلى عرقه أو إثنيته، تلك الأشياء الخيالية التي، ككل الأشياء الخيالية، عادة ما تكون أقوى من الواقع. العنصري يكره بشكل ديمقراطي وعشوائي، على الرغم من أنه من حين لآخر يركز ويشتت انتباهه ويتمكن في النهاية من تفريغ كل كراهيته على عرق معين آخر. النازي لا يكره اليهود فقط. العنصري من جماعة كو كلوكس كلان لا يكره السود فقط. المعادي للسامية لا يكره الساميين فقط. الصهيوني العنصري لا يكره الفلسطينيين فقط. هذه ليست مجرد ملاحظة نظرية أو تعريف لغوي. إنها شيء يمكن ملاحظته في التاريخ والحاضر. إذا دافع شخص ما عن المجموعة التي يكرهها، فإنه يصبح عدوًا وموضوعًا لكراهيتها دون أي تحفظ. مؤخرًا، حددت صحيفة نيويورك تايمز وشبكة سي إن إن هوية مروجي العنف ضد المتظاهرين المؤيدين لفلسطين في جامعات الولايات المتحدة. وكان بين الحشود المؤيدة للصهيونية نشطاء من اليمين المتطرف المعادي لليهود وما لا يقل عن معادٍ معروف للسامية، يضربون الطلاب الذين يحتجون على المذبحة في فلسطين، ومن بينهم طلاب وأساتذة يهود. وهناك أمثلة كثيرة مماثلة. ولا يتسع لي المكان هنا لذكر ولو جزء ضئيل من تلك القائمة الطويلة.

لا، العنصري لا يكره مجموعة معينة فقط، على الرغم من أن الالتباس الاستراتيجي يصر على تقديمه على هذا النحو. إذا اختفت المجموعة التي يمثلها العنصري من على وجه الأرض، ففي غضون ساعات سيصب مرضه على مجموعة أخرى. لا أحد يصاب بإسهال

مفاجئ بسبب استخدام مرحاض معين . أي مرحاض يصلح له لتفريغ سلسه.

العنصرية هي، على الأرجح، مرض تطوري (ربما مع بعض المكونات *الجينية الفردية* التي لم تدرس على هذا النحو، مثل السيكوباتية) التي تتعزز وتستقر في ثقافة مع تصورات وتبريرات وتبريرات. في القرن التاسع عشر، كانت هذه التبريرات العنصرية عبارة عن نظريات عنصرية زائفة (*علم الوراثة الجماعي*) لتبرير الاستعمار والنهب والمذابح العالمية التي ارتكبتها الديمقراطيات النظيفة في الشمال الغربي. في القرن الحادي والعشرين، كما كان الحال قبل خمسة آلاف عام، يتعلق الأمر بتبرير ديني، صاغته الخيالات المسيحية لكل مجموعة وقاده أعضاؤها الأكثر مرضًا، وهم الذين عادة ما يختارهم النظام السياسي، غالبًا بشكل ديمقراطي — وإن لم يكن حرًا أبدًا.

لكن التاريخ يظهر أيضًا أنه على الرغم من أن العنصرية هي لعنة عالمية، فإن جميع الشعوب لم تمارسها بنفس القدر أو بنفس الحماس. على الرغم من أن أفريقيا لم تكن خالية من المذابح الرهيبة التي شجعها أو بررها العنصرية، إلا أنها توفر أيضًا العديد من الأمثلة التاريخية التي كانت فيها العرقية أمرًا غير ذي أهمية. ويمكننا أن نقول الشيء نفسه عن العديد من الشعوب الأمريكية الأصلية. جميعها متوحشة ومتخلفة... لا شيء يضاهي العنصرية الإبادة الجماعية ( ) التي مارستها الإمبراطوريات الشمالية الغربية على نطاق صناعي. كانت هناك ثقافات، وهناك ثقافات أكثر مرضًا من غيرها، وجميعها، سواء كانت دينية أم لا، معادية للإنسانية.

فصل آخر هو من يستفيد من العنصرية. ليس من الصعب أن نلاحظ، في التاريخ والحاضر على حد سواء، أن العنصرية، مثل الأديان، هي أدوات قوة الطبقات، النخب في السلطة. من الصعب استعباد بقية المجتمع، البشرية، إذا لم نقتنع أولاً بأننا متفوقون بالولادة، وأن لدينا

حقوقاً خاصة (في الأرض، في رأس المال، في الحياة) وأنه، بالتالي، فإن إبادة أو استعباد الآخر هو "دفاع مشروع" عن هذا *الحق*. من الصعب استعباد بقية المجتمع، البشرية، إذا لم تقبل بقية البشرية، بشكل صريح أو ضمني، تفوق المستعمر، المضطهد، الطبقة العليا: الأقوياء، الذين يفلتون من العقاب، هم أكثر ذكاءً وجمالاً وطيبة، وفي النهاية يضحون بأنفسهم من أجل ازدهارنا، كما وصف ذلك جيداً قصيدة روديارد كيبلينغ، "عبء الرجل الأبيض الثقيل" التي روج لها ثيودور روزفلت وصدقها معظم المستعمرين. جميعهم تقريبًا، باستثناء المتمردين الخطرين الذين طاردهم جنود الأوليغارشية الاستعمارية المحلية وصلبوهم.

أخيرًا. وظيفة أخرى للعنصرية، مثلها مثل التمييز الجنسي، هي أنه على الرغم من كونها أداة إمبريالية للهيمنة، فإنها تتمتع بقدرة على تشتيت انتباه منتقديها بمطالبات مشروعة. لقد أسكتت "الحرب الثقافية" (*سرد ما هو غير مرئي*) التساؤلات حول النظام نفسه الذي تخدمه العنصرية. وقد ثبت ذلك أولاً في الولايات المتحدة ثم في بلدان أخرى: في القرن الحادي والعشرين، أسكتت المسيرات والاحتجاجات ضد العنف العنصري ضمير الستينيات: إن أكبر تعبير عن العنصرية هو الإمبريالية، التي هي أكبر تعبير عن نظام الهيمنة العالمي من خلال الإله الأكثر تجريداً الموجود، وهو المال، الذي دينه هو الرأسمالية.

لغز الشعب الفلسطيني

لم يكن الفلسطينيون موجودين كشعب عندما طالبوا بحقوقهم الإنسانية. كانوا موجودين كشعب أمالك قبل ثلاثة آلاف عام، عندما كان لا بد من ذبحهم.

الفلسطينيون شعب غريب جداً. فهم، مثل الجسيمات دون الذرية، وفقاً للفيزياء الكمومية ووفقاً للصهاينة، لديهم القدرة على الوجود بشكلين مختلفين وفي أماكن مختلفة في الوقت نفسه. هم موجودون وغير موجودين.

إنهم غير موجودين، ولكن يجب "*قتلهم جميعًا*"، كما قالت عضو الكونغرس أندي أوغلز في واشنطن. "*امحوا غزة من على وجه الأرض*"، أصرت عضو الكونغرس الإسرائيلي غاليت ديستل أتبارين؛ "*أي شيء آخر غير ذلك غير أخلاقي*". كان وزير الدفاع الإسرائيلي بن غفير واضحًا: "*لماذا هناك الكثير من الاعتقالات؟ ألا يمكنكم قتل بعضهم؟ ماذا سنفعل بكل هؤلاء المعتقلين؟ هذا أمر خطير على الجنود*". وقال وزير المالية الإسرائيلي بيزاليل سموتريتش في اجتماع وزاري متلفز: "*رفح، دير البلح، نسيirat، يجب القضاء عليهم جميعًا*" وفقًا لأمر الله: "*امحُ ذكر أماليق من تحت السماء*". في مناسبات مختلفة ، كرر رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، في إشارة إلى الفلسطينيين: "*يجب أن تتذكر ما فعله بك عماليق، كما تقول كتابنا المقدس*". وأوضح أستاذ الدراسات اليهودية موتي إنباري كلمات نتنياهو: "*الوصية التوراتية هي تدمير كل عماليق*

تمامًا. وعندما أتحدث عن التدمير التام، فإننا نتحدث عن قتل كل واحد منهم، بما في ذلك الرضع وممتلكاتهم والحيوانات، كل شيء". وصرح عضو حزب الليكود داني نيومان في التلفزيون: "*في غزة، الجميع إرهابيون. كان يجب أن نقتل 100 ألف شخص في اليوم الأول. قلة قليلة في غزة هم بشر*". اقترح وزير التراث أميحاي إلياهو توفير الوقت وإلقاء قنبلة ذرية على غزة للوفاء بالوصية الإلهية.

في الأشهر السبعة الأولى من القصف، قُتل 40 ألف رجل وامرأة وطفل بسبب القنابل، دون حساب المفقودين والمشردين والمتضررين من المجاعة والأمراض والتشوهات والصدمات النفسية التي لا يمكن علاجها. لكن من نتنياهو إلى الرئيس جو بايدن، "*ما تفعله إسرائيل ليس إبادة جماعية؛ إنه دفاع عن النفس*". إذا ردّت جماعة مسلحة بالعنف (وهو حق معترف به في القانون الدولي)، فإنها تعتبر إرهابية.

أولئك الذين لا يسمحون بقتلهم هم إرهابيون. أولئك الذين ينتقدون القتل، مثل الطلاب الأمريكيين، هم إرهابيون. لهذا السبب، في أوروبا والولايات المتحدة، يتم قمع الاحتجاجات ضد المذبحة في غزة بالهراوات من قبل الشرطة العسكرية، في حين يتم النظر إلى الهجمات الصهيونية العنيفة والمسيرات النازية باحترام. لأن الأقوياء جبناء إلى هذا الحد. بدون أسلحة قوية، وبدون وسائل إعلام مهيمنة، وبدون رؤوس أموال مختطفة، لا يكونون أحداً. الذراع القوية للتحية الفاشية واليد المرتجفة للتشكيك في مذبحة ضد الإنسانية من قبل أولئك الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم.

وفقاً للصهاينة، لم تكن فلسطين موجودة أبداً ولم يكن الفلسطينيون موجودين أبداً. عندما اضطر الفلسطينيون غير الموجودين، بموجب اتفاق الصهاينة مع هتلر، إلى استقبال اللاجئين من النازية في أوروبا، كان غير الموجودون هم الغالبية العظمى من السكان من النهر إلى البحر.

السفن التي وصلت "بمواد وراثية جيدة" حسب الصهاينة، وصلت على متن سفن ترفع أعلام النازية والبريطانية. عندما اقتربت سفينة *إكسودوس* في عام *1947*، وعلى متنها 4500 لاجئ، من حيفا، حذر القبطان البريطاني ركابها من أنهم سيتم اعتقالهم عند وصولهم، لأن الإمبراطورية البريطانية لا تسمح بالهجرة غير الشرعية. "*إذا قاوموا الاعتقال، فسوف نضطر إلى استخدام القوة*". عند وصولهم إلى فلسطين، رفع اللاجئون لافتة كتب عليها " " (*الألمانيون دمروا عائلاتنا. أرجوكم لا تدمروا آمالنا*). تم احتجاز العديد من اللاجئين، لكن ربع مليون منهم تمكنوا من دخول فلسطين، منهم 70 ألفًا على الأقل بشكل غير قانوني وبالقوة.

وسرعان ما تحول جزء (لا نعرف نسبته) من ضحايا أوروبا إلى ضحايا الشرق الأوسط. ودعمت الخطة الصهيونية حملة من الهجمات الإرهابية في فلسطين، حيث فجرت القنابل الفنادق ومراكز الشرطة وراحت تقتل المئات من الفلسطينيين. فولك بيرنادوت، الدبلوماسي السويدي الذي مكن من تحرير عدة مئات من اليهود من معسكرات الاعتقال النازية في عام 1945، قُتل في القدس بعد عامين على يد ليجي، وهي جماعة صهيونية عرّفت نفسها بأنها إرهابية و"مناضلة من أجل الحرية". كانت ليجي، وهي فصيل من جماعة إرهابية أخرى تدعى إيرغون، قد تفاوضت مع النازيين الألمان على إنشاء إسرائيل كدولة شمولية حليفة لرايخ هتلر. وعندما لم تنجح هذه التحالف، حاولوا مع ستالين، ولكن بنفس النتيجة. أحد (السابقين) الإرهابيين في إرغون، البيلاروسي مناحيم بيغن، أصبح رئيسًا لوزراء إسرائيل في عام 1977. وخلفه أحد (السابقين) الإرهابيين في ليجي، البيلاروسي أيضًا، إسحاق شامير، الذي أصبح رئيسًا لوزراء إسرائيل في عام 1983. وبطبيعة الحال، غيروا جميعًا أسماءهم وألقابهم التي ولدوا بها.

منذ ما قبل إنشاء دولة إسرائيل، بدأ سكان فلسطين غير الموجودين في التشرد من ديارهم لاستقبال اللاجئين. قاوم بعض اللاجئين اليهود وبعض الفلسطينيين غير الموجودين الطرد والمنفى، لذا كان لا بد من اللجوء إلى القوة، وإلى شكل خاص من الحق في الوجود غير المعترف به لبقية البشرية، وإلى غضب إله قاسٍ يخشاه بقية البشرية نفسها. في أوائل عام 2024، تذكرت المخرجة الإسرائيلية هادار موراج: "*عندما وصلت جدتي إلى هنا إلى إسرائيل، بعد المحرقة، وعدتها الوكالة اليهودية بمنزل. لم يكن لديها شيء. لقد تم إبادة جميع أفراد عائلتها. انتظرت طويلاً، وهي تعيش في خيمة في ظروف بالغة الصعوبة. ثم نقلوها إلى عجمي في يافا، إلى منزل رائع على الشاطئ. رأت أن أطباق الفلسطينيين الذين كانوا يعيشون هناك وطردوا ما زالت على الطاولة. عادت إلى الوكالة وقالت: "أعيدوني إلى خيمتي، لن أفعل أبداً بأحد ما فعلوه بي". هذا هو إرثي، لكن لم يتخذ الجميع هذا القرار. كيف يمكننا أن نصبح مثل من قمعونا؟ هذا سؤال كبير*".

استقبل بعض الفلسطينيين غير الموجودين اللاجئين اليهود عندما لم يرغب فيهم حتى الولايات المتحدة، عندما أعاد رئيس مثل روزفلت ما يقرب من ألف لاجئ يهودي على متن السفينة سانت لويس ليموتوا في معسكرات الاعتقال في أوروبا. عندما أنشأت الأمم المتحدة في عام 1948 دولتين، إسرائيل وفلسطين، قررت إسرائيل أن فلسطين والفلسطينيين غير موجودين، على الرغم من أنه لكي تحدث المعجزة الكمومية، كان عليهم سرقة منازلهم وأراضيهم، وتشريدهم جماعياً وقتلهم بفرح. وفي الوقت نفسه، كانوا يتحسرون على العمل القذر الذي كان عليهم القيام به. قالت المهاجرة الأوكرانية والوزيرة الأولى لاحقًا غولدا مائير: «*لن نغفر أبدًا للعرب إجبارنا على قتل أبنائهم*». «*الفلسطينيون لم يكونوا موجودين* أبدًا»، حكمت في عام 1969. وأضافت بعد عام: "*كنت*

فلسطينية من عام 1921 إلى عام 1948 لأنني كنت أحمل جواز سفر فلسطيني". كأن تقول إن ألمانيا هي من اختراع هتلر وفون بابن أو أن بريطانيا هي بروسيا لأن نشيدها ("حفظ الله الملكة") يبدو مثل نشيد بروسيا ("الله معنا").

إن الإشارة إلى العرب والفلسطينيين على أنهم حيوانات أو دون البشر ليست بالأمر الجديد. إنها نوع كلاسيكي من العنصرية الصهيونية المتعالية التي لا تسيء إلى أحد في العالم الإمبراطوري والمتحضر. ذلك العالم المتحضر نفسه الذي لا يتحمل سماع كلمة" *(أسود)*"، لكنه لا يريد أن يتذكر أو يعترف (ناهيك عن التعويض) بمئات الملايين من السود الذين ذُبحوا من أجل ازدهار شعوبه المختارة. كما فعل النازيون مع اليهود، قبل أن يذبحوهم دون ندم، كانوا بحاجة إلى تجريد الآخر من إنسانيته.

في عام 1938، قال أحد قادة الجماعة الإرهابية الصهيونية إيرغون، البيلاروسي يوسف كاتزنيلسون: "*يجب أن نخلق وضعاً يكون فيه قتل عربي مثل قتل جرذ. يجب أن يُفهم أن العرب حثالة وأننا، وليس هم، القوة التي ستحكم فلسطين*". في عام 1967، قال الدبلوماسي الإسرائيلي ديفيد هاكوهين: "*إنهم ليسوا بشرًا، إنهم ليسوا أشخاصًا، إنهم عرب*". في نوفمبر 2023، صرح السفير الإسرائيلي السابق لدى الأمم المتحدة، دان جيلرمان: "*أنا مندهش للغاية من القلق المستمر الذي يبديه العالم تجاه الشعب الفلسطيني، والذي يبديه في الواقع تجاه هذه الحيوانات الفظيعة واللاإنسانية التي ارتكبت أسوأ الفظائع التي شهدها هذا القرن*". ولكن إذا لاحظ أحد أن هذا عنصرية صريحة، فإنه يُتهم بالعداء للسامية، أي *بالعنصرية*.

الفلسطينيون غير موجودين، ولكن إذا دافعوا عن أنفسهم، فإنهم إرهابيون أشرار. إذا لم يدافعوا عن أنفسهم، فإنهم إرهابيون طيبون. إذا سمحوا بذبحهم، فإنهم إرهابيون غير موجودين. في غزة، *أي شخص يزيد عمره عن أربع سنوات هو من أنصار حماس*"، كما قال العميل السابق للموساد رامي إيغرا ( ) للتلفزيون الحكومي. "*جميع المدنيين في غزة مذنبون ويستحقون مواجهة السياسة الإسرائيلية للعقاب الجماعي، التي تمنعهم من الحصول على الغذاء والدواء والمساعدات الإنسانية*". لقد نسيت المذكرة المتعلقة بالقصف المنهجي والعشوائي الذي يقطع رؤوس ويقطع أوصال عشرات الأطفال كل يوم، حتى أولئك الذين تقل أعمارهم عن أربع سنوات، والذين يمكن اعتبارهم دون البشر، حيوانات، جرذان، ولكنهم ليسوا بعد إرهابيين متخرجين.

إسرائيل لها الحق في الدفاع عن نفسها، وهو حق يشمل أي حق إنساني وإلهي آخر: الحق في التهجير، والحق في الاحتلال، والحق في الاختطاف، والحق في سجن وتعذيب القاصرين من شعب غير موجود دون قيود.

الحق في ألا ينتقد أحد حقها.

الحق في اعتبار نفسه شعباً متفوقاً، بفضل الله وبفضل طبيعته الخاصة، وروحه المتفوقة التي لن يصل إليها *الغوييم* أبداً.

الحق في البكاء على الضحايا الذين تسببهم هذه التفوق العرقي والحق في البكاء على الضحايا الذين يسببهم لهم دون البشر، الفئران البشرية.

الحق في شراء الرؤساء والسناتورين والنواب ورؤساء التحرير في بلدان أخرى، مثل الولايات المتحدة.

الحق في تدمير حياة ومهنة أي شخص يجرؤ على التشكيك في بعض هذه الحقوق بتهمة معاداة السامية.

الحق في القتل عندما يرون ذلك ضروريًا.

الحق في القتل حتى من أجل التسلية عندما يشعر جنوده بالملل.

الحق في الرقص والاحتفال عندما تقتل عشرات الأطنان من القنابل عشرات اللاجئين في مخيم مكتظ بالناس الجائعين.

كل ذلك لأن الفلسطينيين هم وليسوا. وفقًا لهذه القصة العنصرية والمسيحية، لم يكن الفلسطينيون موجودين كشعب عندما يطالبون بحقوقهم الإنسانية. لقد كانوا موجودين كشعب أمالك قبل ثلاثة آلاف عام، كسكان قرية كان لا بد من تهجيرهم وإبادة "حتى لا يبقى واحد" من هؤلاء الكائنات الخيالية غير الموجودة.

الآن، إذا كنت لا تصدق هذه القصة، فكررها مرات لا حصر لها وستفهم أنها الحقيقة المجردة. حقيقة إذا تجرأت على التشكيك فيها، ستصبح إرهابياً، مثلما تحولت زوجة لوط إلى تمثال من الملح بسبب جرأتها على العصيان والنظر إلى الوراء حيث، كما يقولون، كان الله يذبح شعباً بسبب الميل الجنسي لبعض أفراده.

أولمبياد الدم

كانت الألعاب الأولمبية اليونانية قادرة على وقف الحروب احترامًا لقدسية هذا الحدث الرياضي. كانت هذه الهدنة، التي مورست منذ القرن الثامن قبل الميلاد، تسمى ekecheiria، وبموجبها كان بإمكان الرياضيين والمتفرجين من الدول المتحاربة السفر بأمان إلى المدينة التي كانت تقام فيها الألعاب والعودة منها، كل ذلك تحت حماية شرف الآخرين. كان الرياضيون والحاضرون يسافرون من ما يعرف اليوم باليونان وتركيا وإيطاليا وحتى من شمال إفريقيا، وهي مسافات كانت في ذلك الوقت أطول وأكثر تكلفة مما قد تكون عليه اليوم رحلة من تييرا ديل فويغو أو جاكرتا إلى باريس.

قبل أن تصبح منتجًا تجاريًا آخر في حضارتنا الرأسمالية، كانت إلهة الألعاب الأولمبية هي نيكي، أو النصر، صرخة ماراثون قبل أن يسقط ميتًا بسبب جهده البطولي. كانت الإيكيشيريا، الهدنة، وقف جميع الحروب مكرسة لإيرين (إيرين)، إلهة السلام وشقيقة ديكي، إلهة العدالة. كان الفنانون اليونانيون يصورونها على أنها شابة جميلة تحمل الطفل بلوتو في ذراعها الأيسر، على الرغم من أن بلوتو لم يكن ابنها. مثل تمثال الحرية في نيويورك ( )، كانت إيرين ترتدي تاجًا وترفع شعلة في ذراعها الأيمن. قبل أن تصبح أسطورة جديدة (أسطورة الرأسمالية عن *حرية الاستيلاء)*، كان لهذا الإيماءة ومفهوم *الحرية* نفسه معنى مختلف تمامًا عن المعنى الحالي، وظل لآلاف السنين هو نفسه تقريبًا في ثقافات مختلفة لشعوب وقارات مختلفة: كان إيماءة الحاكم الكريم الذي يظهر أمام الشعب ليعلن أنه في تلك اللحظة التاريخية، تم إلغاء ديون الطبقات الدنيا. لم تكن هذه الإيماءة مجرد عمل كرم، بل كانت ضرورة وجودية لاستمرار عمل

مجتمع راكد ومتدهور. ومن هنا *جاءت فكرة الحرية*، لأن العديد من العبيد وغير العبيد لم يكونوا أحرارًا بسبب ديونهم، تمامًا كما هو الحال اليوم. كما أوضح الاقتصادي الأمريكي الكبير الخبير في الديون، مايكل هدسون، فإن عبارة *"يا رب، اغفر لنا* ذنوبنا" تأتي من المطالبة الأقدم والأكثر تكرارًا "يا رب، اغفر لنا ديوننا"، والتي توجد حتى في الكتاب المقدس – عندما تُترجم بدون العقائد الدينية السائدة في ذلك الوقت.

كان بلوتو الذي كانت تحمله إيرين، إلهة السلام، هو (أو لا يزال) إله الثروة، وهو ما كان منطقيًا في العالم القديم: فالسلام يولد الرخاء. ومن المفارقات المأساوية أن ما يسمى بالديمقراطيات اليوم هي في الواقع بلوتوقراطيات، أي أنها تعبير عن سلطة الأغنياء الذين يضاعفون ثرواتهم مع كل حرب. بالنسبة للمستثمرين الرأسماليين، عائد السلام ضئيل وبطيء.

بعد 2700 عام، أصبحنا أخيراً متحضرين وأصبحت الأمور مختلفة. نما بلوتو وقتل إيرين، وهو ما يفسر إلغاء *الإيكيشيريا* في الألعاب الأولمبية وفي أي حدث رياضي كبير آخر مثل كأس العالم لكرة القدم. في عام 1992، جرت محاولة لإحياء هذه التقليد القديم، واعتمدت الأمم المتحدة قرارًا، مثل العديد من قراراتها، لا يُطبق إلا عندما يفيد أو لا يزعج بلطجية الحي.

الآن، كانت الأحداث الرياضية الكبرى، وليس فقط الألعاب الأولمبية، دائماً تتأثر بالسياسة الكبرى. بعض الحالات التي حدثت في القرن الماضي تُذكر في كتب التاريخ بسبب خياناتها السياسية أكثر من إنجازاتها الرياضية.

بعد فوزها بكل شيء، رفضت أوروغواي المشاركة في كأس العالم لكرة القدم في إيطاليا عام 1934، احتجاجًا على غطرسة الأوروبيين الذين اشتكوا من أن أول كأس عالم تنظمه أوروغواي كان بعيدًا جدًا عن

المركز، مما يذكرني بالنكتة التي كان يطلقها عليّ أحيانًا والدي العزيز: *"من الأفضل أن تأتي أنت، فأنت أقرب"*. كانت أوروغواي قد سافرت إلى الألعاب الأولمبية التي نظمت في أوروبا في باريس عام 1924 وأمستردام عام 1928 وفازت بها في المرتين، عندما كانت تلك هي بطولات كرة القدم العالمية التي كان كل بلد يرسل إليها أفضل لاعبيه، وليس فرقًا بديلة أو محدودة العمر، كما هو الحال اليوم.

في عام 1938 في فرنسا، احتجت أوروغواي مرة أخرى لأن الأوروبيين قرروا الخروج عن وعدهم بإقامة كأس العالم في كل قارة (كان من المقرر أن تستضيفه الأرجنتين، حيث لا تزال أوروغواي حتى اليوم هي المرشح المفضل)، وللامتثال للمقاطعة ضد الفاشية، التي كان يقودها آنذاك هتلر وموسوليني. بالإضافة إلى ذلك، كانت أوروغواي أول منتخب يشارك في بطولات دولية بلاعب أسود، وهو ما كان بمثابة إعلان أخلاقي وسياسي أزعج الكثيرين، بما في ذلك بعض البلدان الأمريكية اللاتينية.

ليس من قبيل الصدفة أن إيطاليا فازت مرة أخرى بكأس العالم حتى تم تعليق البطولة بسبب الحرب، وعندما استؤنفت في البرازيل، فازت أوروغواي بها مرة أخرى بفضل الماراكانازو الشهير، وهو أسطورة وطنية تشكل جزءًا من الحمض النووي النفسي لذلك البلد الصغير وغير المكتظ بالسكان.

ويمكن قول شيء مماثل عن كأس العالم 1978 في الأرجنتين. لم تشارك أوروغواي ليس لأسباب سياسية، بل بسبب فشلها في التصفيات – على الرغم من أن رفض استدعاء أفضل لاعبيها من الخارج للتصفيات قد يكون بسبب نفس الدكتاتورية العسكرية في ذلك الوقت، ولكن هذه مجرد ملاحظة للخبراء في تاريخ كرة القدم.

كانت كأس العالم 78 هدية للجندي الإبادة الجماعية رافائيل فيديلا، الذي لم يتردد في الضغط على لاعبيه في التدريبات، وعلى المنتخبات

الأجنبية (مثل منتخب بيرو)، وفي التسرع للظهور في الصورة عندما حققت الأرجنتين أول فوز لها في كأس العالم، وهو إنجاز مختلف تمامًا عن إنجاز 1986. كانت احتفالية سياسية رياضية وسط المذابح والاختفاءات التي ارتكبها نظام فاشي استخدم البطولة كما استخدم موسوليني كأس العالم عام 1934، وهتلر الألعاب الأولمبية عام 1936، وكأس العالم لكرة القدم عام 1938، على غرار *شعار Die Europa über* alles—أوروبا فوق كل شيء، أوروبا أولاً.

سيقول المؤرخون شيئًا مشابهًا عن أولمبياد باريس 2024. سيتم تذكرها على أنها أولمبياد الإبادة الجماعية، بأسماء مختلفة. لم تؤد أي من الحروب الجارية إلى أي هدنة (*ekecheiria*)، بل على العكس تمامًا. في عصر وسائل الإعلام، ينتظر الأقوياء دائمًا أي إلهاء عالمي كبير لارتكاب أسوأ فظائعهم. كما في حالة سنوات النازية والفاشية، كان التأثير الوحيد هو تهميش أولئك الذين لم يكونوا المفضلين لدى السلطة السياسية المركزية، مثل روسيا، ودعوة إسرائيل للمشاركة، في خضم واحدة من أسوأ الإبادة الجماعية في الأجيال الأخيرة ، مع تفاقم الأمر بأنه لا يستند فقط إلى العنصرية الصريحة والعلنية (ومن المفارقات أن الرياضة هي المجال الذي نشهد فيه أكبر مقاومة للعنصرية)، بل إنها تُرتكب بالأسلحة والمال وبمباركة وسائل الإعلام من نفس المركز المهيمن الذي، كما في عصر العبودية، يضرب على صدره ويصف نفسه بأنه بطل الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان.

ثلاث فئات أخلاقية لا يحصلون فيها على أي ميدالية —لكنهم يعلقونها على صدورهم على أي حال.

إمبراطورية الإنكار تغض الطرف وتؤمن

—أستاذ —قال لي أحد الطلاب— خذ المخاطرة وقل من سيفوز غدًا.

ـ ترامب.

لقد قلت ذلك بالفعل في عدة وسائل إعلام، لكنني لست مهتمًا بالسياسة الحزبية في فصولي الدراسية.

—وفقًا لجميع الاستطلاعات، كامالا هي الفائزة. لماذا قد تخسر؟

—بسبب غزة. لا يمكن إخفاء الشمس بإصبع.

بعد ساعات من معرفة نتائج الانتخابات، بدأت أكبر شبكات التلفزيون، من CNN إلى Fox News، في استيعاب فوز دونالد ترامب. بدا أن الشخصيات الأكثر شهرة متفقة على أن هناك ثلاثة قضايا أثرت على الديمقراطيين: 1- الاقتصاد؛ 2- أزمة الهجرة؛ 3- الصراع في الشرق الأوسط.

بعبارة أخرى، الجيب والعنصرية والأخلاق. في هذه النقاط الثلاث نرى صناعة الأفكار والحساسيات في دعاية تلك الوسائل الإعلامية نفسها:

1. الاقتصاد المحلي ليس على ما يرام، ولكن دعونا نرى أن هذا لا يرجع إلى حكومة معينة بل إلى مشكلة هيكلية أكبر بكثير تمتد من الفساد القانوني للشركات التي اشترت كل شيء (السياسيين ووسائل الإعلام) لمواصلة تراكم الثروة (القيمة المضافة) التي استولت عليها من الطبقة المتوسطة والعمالية. منذ عام 1975، نقلت الطبقة العاملة 50 تريليون دولار (ضعف الناتج المحلي الإجمالي للصين) إلى أغنى 1٪ من السكان.

العامل الاقتصادي الآخر هو فقدان واشنطن لهيمنتها وقدرتها على فرض إرادتها على بقية العالم، الأمر الذي لم يؤد فقط إلى تفاقم عدوانيتها الطبيعية، بل واجهها بمنافسة لا تقبلها. ولكن إذا اقتصرنا على الإدارات الحالية، فسنرى أن الناتج المحلي الإجمالي نما خلال فترة رئاسة ترامب أقل مما نما خلال فترة رئاسة بايدن. صحيح أن هناك جائحة، ولكن نفس الحجة تنطبق عندما يتم الإشادة بانخفاض أسعار الوقود في الفترة السابقة، بسبب الانخفاض الحاد في حركة المرور على الطرق.

2. هناك *مشكلة* هجرة على الحدود الجنوبية، ولكنها ليست *أزمة*. هذه مشكلة صنعتها وسائل الإعلام، وأغناها السياسيون الذين يستفيدون من شيطنة الأضعف الذين لا يصوتون ولا يملكون جماعات ضغط للضغط عليهم وشرائهم. كقاعدة عامة، المهاجرون غير الشرعيين ليسوا مجرمين ولا يزيدون من معدلات الجريمة، بل يقللونها. إنهم لا يعيشون على خدمات الدولة، بل يساهمون بضرائب من خلال استهلاكهم وتقاضيهم لرواتبهم، ودفعهم ضرائب لا يطالبون بها أبدًا، بل تذهب إلى الضمان الاجتماعي لصالح شخص آخر. إنهم لا يسرقون عمل أي شخص، بل يقومون بالأعمال التي لا يرغب المواطنون في القيام بها، وبهذه الطريقة يساعدون الاقتصاد على الاستمرار في العمل.

وفقًا لترامب، "المهاجرون غير الشرعيين مجرمون يدخلون دون رقابة". هدد المكسيك بفرض رسوم جمركية عالية إذا لم توقف تهريب المخدرات، دون أن يذكر أن بلده هو أصل المشكلة، ليس فقط في الاستهلاك ولكن أيضًا في توزيع المخدرات والأسلحة. وكما هو موثق، يعيش المجرمون ومرتكبو الإبادة الجماعية والإرهابيون بحرية وبشكل قانوني في فلوريدا، وهم من كبار المتبرعين لحزبه السياسي.

3. على الرغم من أن الأمريكيين عادة ما يصوتون بناءً على مصالحهم المالية، فإن هناك جزءًا منهم (على الرغم من أنه أقلية، إلا أنه يبلغ عدة ملايين) يصوتون بناءً على قناعات أخلاقية قوية. كان هذا هو

الحال بالنسبة للإبادة الجماعية في غزة التي حاول الديمقراطيون إسكاتها حتى لا يتحدثوا عن الأسلحة وعشرات الآلاف من الدولارات التي أرسلوها في عام واحد فقط إلى إسرائيل لذبح عشرات الآلاف من الأطفال تحت شعار "إسرائيل لها الحق في الدفاع عن نفسها" أو، كما رد بيل كلينتون، "لأن الملك داود كان هناك منذ ثلاثة آلاف عام". أو المرشحة هاريس، التي أسكتت كل سؤال عن غزة بنفس الغطرسة المتعجرفة: "أنا أتحدث". تجاهلت الحكومة الاحتجاجات الطلابية العديدة، التي قمعت بعنف، والمسيرات الحضرية الضخمة، ومسيرات سائقي الشاحنات...

ثم، عندما ظهرت نتيجة التصويت العقابي، أرادت نفس وسائل الإعلام التي كانت قد أخفت المذبحة في غزة أن تفسر الكارثة الانتخابية باللجوء إلى نفس الأسلوب: *إهمال القضية الأخلاقية ووضعها في المرتبة الثالثة والتحدث عن "أزمة في الشرق الأوسط"، وتجنب ذكر غزة وفلسطين والإبادة الجماعية*. ولا حتى *المذبحة*.

هذه الإبادة الجماعية تتحول إلى ورم خبيث في الشرق الأوسط، محطة أخرى في حلقة النار (أوكرانيا، سوريا، فلسطين، إيران، تايوان) الناتجة عن احتكاك الذكر الألفا للغرب الذي يحاول محاصرة التنين الذي استيقظ بالفعل.

بدلاً من التفاوض وإفادة شعوبه من خلال التعاون العالمي، يسعى الذكر الألفا إلى القضاء على المنافسة. هذه الاستعارة مستمدة من القطيع الذي يقوده الذكر الذئب، والآن من قبل أيديولوجيي اليمين. إنهم ينسون أنه عندما يتقدم الذكر الألفا في السن ويواجه ذكراً أصغر سناً، ينتهي الأمر بصراع مميت.

في عام 2020، فاز الديمقراطيون في ويسكونسن وميشيغان، وهما ولايتان تضمان عددًا كبيرًا من السكان العرب. الآن، فاز الجمهوريون في الولايتين اللتين يطلق عليهما اسم " ". ومع ذلك، احتفظت النائبة

الفلسطينية الأصل، رشيدة طليب (ميشيغان) بمقعدها بنسبة 70 في المائة من الأصوات، واحتفظت إلهان عمر (مينيسوتا) بمقعدها بنسبة 75 في المائة.

كان التصويت لصالح ترامب (الذي خسر الانتخابات قبل أربع سنوات لسبب ما) أكثر من مجرد تصويت ضد هاريس والديمقراطيين. كان تصويتًا غاضبًا ويائسًا. هذا النظام الانتخابي هو إرث من العبودية، وقد تم شراء النظام السياسي والإعلامي من قبل الشركات التكنولوجية والمالية، وهي التي تحكم هذا البلد. لاري فينك، الرئيس التنفيذي لشركة بلاك روك (شركة مالية تدير أموالاً تبلغ خمسة أضعاف اقتصاد روسيا)، أوضح ذلك بقوله: "*لا يهم من سيفوز؛ هاريس أو ترامب سيكونان جيدين لوال ستريت*".

إنه كيس قوة: ينتقل المال من الأحزاب إلى وسائل الإعلام من أجل الدعاية والترويج. بمعنى، يتم شراء السياسيين ووسائل الإعلام بنفس الدولار في لحظتين مختلفتين. الرؤساء مسؤولون عن السيرك. إنهم مسؤولون عن إثارة المشاعر، خاصة المشاعر العرقية والجنسانية. لا توجد استراتيجية أفضل لإخفاء مشاكل الطبقة الاجتماعية. العنصرية هي الطريقة الأكثر فعالية لإخفاء المشكلة العميقة للطبقات الاجتماعية التي نواجهها، بما في ذلك ترجمتها العالمية، الإمبريالية.

أخيرًا سيكون لدينا رئيس مدان في 34 قضية، تفاخر بذكائه لعدم دفعه الضرائب. بالطبع، الذكاء وحده لا يكفي. من الضروري أن يكون الشعب مغفلًا بسبب الانقسامات الهوياتية، مع أفراد *مغتربين عن أنفسهم* بسبب نفس التقنيات التي تهيمن على الاقتصاد والسياسة والجغرافيا السياسية.

وهذا ليس بالأمر الصعب في شعب معتاد على الإيمان بما هو فوق الحقائق. شعب دربته الكنائس على إغلاق عينيه *واستبدال الواقع بالرغبة* حتى يتغير الواقع. لأن العقلية الدينية تولي أهمية أكبر للواقع السردي على الواقع الفعلي: *"في البدء كان الكلمة*...".

ومن هناك إلى تطبيق نفس المهارات الفكرية والقناعات عند الخروج من مجال ما للدخول في مجالات أخرى (البنوك، البورصات، التلفزيون، الأحزاب السياسية) لا يوجد سوى خطوة واحدة. وأحيانًا لا حتى ذلك.

الوسائل تبرر الغايات II

في 9 يناير 2025، بعد أيام من رفض إعلان مدفوع الأجر يدين الإبادة الجماعية في غزة لاستخدامه كلمة "إبادة جماعية"، نشرت صحيفة نيويورك تايمز مقالاً بعنوان *"المؤرخون يدينون "إبادة الطلاب" من قبل إسرائيل. السؤال هو لماذا"*. كانت جمعية المؤرخين الأمريكية قد صوتت بأغلبية ساحقة على إدانة قصف وإبادة المدارس والجامعات في غزة، بالإضافة إلى قتل الأساتذة والطلاب تحت أطنان من القنابل. وتساءل المقال البارز عن أسباب الإدانة واتهم الجامعات بأنها *مسيسة.*

قبل أيام، تناولت شبكة CNN، المعادية لترامب، مقترحاته التوسعية: *"ترامب يتعامل مع قضايا الأمن القومي؛ عليه أن يواجه عالماً جديداً شكله صعود الصين... تفكير ترامب في إنهاء معاهدة قناة بنما يظهر قلقه من غزو القوى الأجنبية في نصف الكرة الغربي. هذا ليس جديداً: فقد كان موضوعاً ثابتاً في التاريخ، منذ مبدأ مونرو عام 1823، عندما كان المستعمرون الأوروبيون هم التهديد. واستمرت المشكلة خلال مخاوف الحرب الباردة من الشيوعية. والغزاة اليوم هم الصين وروسيا وإيران..."*. غزو، تهديد، غزاة... نفس الصحافة المنافقة المعتادة، التي تخدم الوحشية الإبادة الجماعية والسلطة السارقة.

بالنسبة لأمريكا اللاتينية، كان الغزاة دائمًا هم الولايات المتحدة. كان الصحفي جون أوسوليفان هو الذي ابتكر أسطورة القدر المحتوم لتبرير نهب ومذبحة الشعوب الأصلية في الغرب والجنوب، كما هو الحال دائمًا، استنادًا إلى حب الله لعرق معين — لعرق أصحاب البنادق. في عام

1852، كتب أوسوليفان: *"هذا القارة وجزرها المجاورة ملك للبيض؛ يجب أن يظل السود عبيداً...*"

عندما تمكن الرئيس جيمس بولك من إيجاد ذريعة لغزو المكسيك وسرقة نصف أراضيها، فعل ذلك عن طريق إثارة هجوم تحت راية زائفة. قال: *"حان الوقت* لتوسيع الحرية إلى أراضي أخرى"، في إشارة إلى إعادة إحياء العبودية في بلد كان قد حظرها. أدرك جنوده وجنرالاته، أوليسيس غرانت وزاكاري تايلور ووينفيلد سكوت، أن الأمر كان مجرد خدعة. كتب الجنرال إيثان هيتشكوك: *"ليس* لدينا أي حق في التواجد هنا. لقد أرسلتنا الحكومة لإثارة غضب المكسيكيين وبالتالي الحصول على ذريعة لشن حرب تسمح لنا بالاستيلاء على كاليفورنيا و ".

كانت الصحافة الجماهيرية الجديدة في ذلك الوقت، بفضل اختراع المطبعة الدوارة، الأداة الرئيسية *للأخبار المزيفة* التي دفعت آلاف المتطوعين إلى غزو المكسيك، وكما أفاد جنرالات مثل سكوت، إلى القتل والسرقة و*"اغتصاب النساء أمام أطفالهن وأزواجهن"*.[8] يبدو أن الولايات المتحدة لم تكن ترسل أفضل رجالها. في 16 يونيو 2015، تم الاحتفاء بترامب عند بدء حملته الرئاسية بتأكيده أن *"المكسيك ترسل أشخاصًا لديهم مشاكل... إنهم مغتصبون جنسيون"*.

عندما علم بولك في عام 1846 بوقوع حادث بسيط على الأراضي المكسيكية، هرع إلى الكونغرس وأبلغه أن الغازي *"سفك دماء أمريكية على أراضي أمريكية"*. اضطر لينكولن، الذي كان معارضًا للحرب (وصفها يوليسيس غرانت بأنها "الحرب الفاسدة")، إلى الانسحاب من

---

[8] ماجفود، خورخي. *الحدود الوحشية: 200 عام من التعصب الأنجلوسكسوني في أمريكا اللاتينية*. Rebelde Ed.، 2021.

السياسة لسنوات. لا شيء أكثر فعالية في إسكات النقد من الوطنية الحربية.

وقد تكرر الأمر نفسه على مدى 150 عاماً. أسطورة غرق *السفينة مين* في كوبا اختلقتها الصحافة الصفراء، التي كان يملكها جوزيف بوليتزر وويليام هيرست. وبعد سنوات، دافع قطب الإعلام هيرست عن هتلر واتهم فرانكلين روزفلت بالشيوعية. وقد صورت الصحافة هتلر على أنه وطني، كما تصور الآن نتنياهو على أنه أداة في يد الله.

في عام 1933، نشر الجنرال الأكثر تكريمًا في جيله، سمدلي بتلر، ما يلي: "العلم يتبع الدولار والجنود يتبعون العلم... حروبنا تم التخطيط لها من قبل الرأسمالية القومية الأمريكية. لقد خدمت في البحرية لمدة 33 عامًا كقوة عسكرية لـ وول ستريت والشركات الكبرى... لقد كنت مافيا الرأسمالية..." لم يُسجن بسبب جريمة الرأي (كما كان الحال مع المرشح الاشتراكي يوجين ديبس لمعارضته الحرب العالمية الأولى)؛ بل تم اللجوء إلى وسيلة أكثر شيوعًا: تم تشويه سمعة البطل العسكري باعتباره شخصًا يعاني من مشاكل نفسية.

كما استثمر جونسون وكيسنجر ملايين الدولارات في الصحافة لدعم الحرب الإبادة الجماعية في فيتنام بالقصف الجوي المكثف والأسلحة الكيميائية. بحلول ذلك الوقت، كانت عملية موكينجبيرد التابعة لوكالة المخابرات المركزية قد غرست بالفعل *الأخبار المزيفة* والمقالات الافتتاحية المكتوبة في ميامي في كبرى الصحف في أمريكا اللاتينية. وفعلت الشيء نفسه مع وسائل الإعلام في الولايات المتحدة، من خلال الكتب والنقد الأدبي والأفلام. استفادت الشركات الكبرى من الشرطة الأيديولوجية، بينما تركت مئات الآلاف من القتلى في أمريكا الوسطى

وحدها ( )، كل ذلك باسم *الأمن القومي* الذي أدى إلى انعدام الأمن الاستراتيجي.

قبل شن الغزو الشامل للعراق في عام 2003 (الذي خلف مليون قتيل وملايين النازحين وفوضى في الشرق الأوسط)، نشرنا في صحف البلدان الهامشية عن عدم منطقية الرواية التي بررت ذلك. لكن الصحافة الكبرى المهيمنة تمكنت من إقناع الأمريكيين بأن طبول الحرب تقول الحقيقة. اتخذت صحيفة نيويورك تايمز موقفًا مؤيدًا للغزو باعتباره عملًا وطنيًا و"أمنًا قوميًا". مرة أخرى، باسم الوطنية، تمت مراقبة جميع المنتقدين بموجب القانون (*قانون الوطنية*) والمضايقة الاجتماعية. لم يكن بإمكان وسائل الإعلام عرض صور الجنود العائدين في توابيت. ناهيك عن مئات الآلاف من المدنيين العراقيين الذين ذبحوا بسبب هذه الجبن الجماعي الذي لم يجلب الأرباح إلا للتجار أنفسهم.

بعد سنوات من اعتراف جورج دبليو بوش ودميته، الرئيس الإسباني خوسيه ماريا أزنار، بأن أسباب الغزو كانت زائفة ("خطأ استخباراتي")، ظل معظم مشاهدي قناة فوكس نيوز يؤمنون بالكذبة التي نفسها مرتكبوها أنفسهم —فقد تم تدريبهم منذ الطفولة على تصديقها رغم كل الأدلة، كما لو كانت فضلاً إلهيًا.

وسائل الإعلام الكبرى التي تروج لنفسها على أنها *مستقلة وحامية* للديمقراطية، لا تعتمد فقط على حفنة من المليونيرات المعلنين، بل على مليارات الدولارات التي تتبرع بها الشركات والمجانين مثل إيلون ماسك للأحزاب السياسية. إنه عمل تجاري مثالي: *بنفس الدولار الذي يشترون به السياسيين في الحملات الانتخابية، يشترون وسائل الإعلام التي تروج لهم*. وسائل الإعلام هي جزء من تلك الديكتاتورية البلوتوقراطية، وعملها (الذي لا يختلف عن عمل الكهنة الذين كانوا يلقون الخطب في الكنائس والكاتدرائيات التي يمولها النبلاء) يتمثل في اختلاق واقع يتعارض مع

الحقائق، متواطئًا مع القوة العظمى للمال والإمبريالية والعنصرية. كل ذلك باسم الديمقراطية والقانون الدولي والتنوع.

كما صغنا في $P = d.t$، سيشدد الغرب الرقابة على المنتقدين لسبب بسيط هو أن *قوته* تتراجع وكذلك *تسامحه*. منذ اليونان الكلاسيكية، كانت حرية التعبير ترفًا للإمبراطوريات التي لا تشعر بأنها مهددة بأي انتقاد.

قنابل مع الكثير من الحب

وصلت نيكي هالي إلى إسرائيل يوم الأحد 26 مايو 2024، قبل يوم واحد من مذبحة رفح – واحدة من بين العديد من المذابح التي وقعت في الأشهر السابقة. وفقًا لعناوين وسائل الإعلام، سافرت نيكي في مهمة رسمية لغرض إنساني.

قبل أن تأخذ قسطًا من الراحة، زارت الأسلحة التي يزودها بلدها، الولايات المتحدة، لحكومة بنيامين نتنياهو. كان آخر شيك، تم التصويت عليه قبل أسابيع في الكونغرس الأمريكي، بقيمة 27 مليار دولار. 1.5 ضعف إجمالي اقتصاد فلسطين بأكملها.

بفضل هذه المساعدة الجديدة التي تضاف إلى التحويل السنوي الذي يقارب أربعة مليارات دولار، تمكنت إسرائيل من تسريع مذبحة الرجال والأطفال والنساء في غزة، أكبر سجن في العالم وفي التاريخ. بالطبع، أولئك الذين يصفون هذا بالمذبحة أو الإبادة الجماعية هم معادون للسامية، ولذلك من الضروري توضيح أن الأمر في الواقع يتعلق بـ "حق إسرائيل المشروع في الدفاع عن نفسها ضد أولئك الذين يريدون مهاجمتها ولا يعترفون بحقها في الوجود".

في الأشهر الأخيرة، قام نتنياهو ومعاونوه، بدعم (قوي ومتواطئ ومقتنع) من غالبية شعب إسرائيل، بقتل 40 ألفاً من هؤلاء السجناء (نصفهم تقريباً من الأطفال ؛ وتشويه وترويع أكثر من مليون نسمة لا حق لهم في الدفاع عن أنفسهم) الذين يعتبرونهم حيوانات أو دون البشر ولا يستحقون العيش. إذا كان هناك من لا يوافق على قتل جميع الفلسطينيين، فإنه يُصنف تلقائياً على أنه عنصري. لو كانوا كلاباً وقططاً، لكانوا قد أدينوا بتهمة القسوة على الحيوانات. لكن لا، الفلسطينيون/العرب

"هم جرذان"، كما وصفهم الأعضاء المؤسسون للجماعات الإرهابية التي أسست هذه العقلية العنصرية والمتفوقة، مثل إيرغون وليجي قبل أن تخترع الأمم المتحدة دولة إسرائيل: *"يجب أن نخلق وضعًا يكون فيه قتل عربي مثل قتل جرذ. يجب أن يُفهم أن العرب هم حثالة وأننا، وليس هم، القوة التي ستحكم فلسطين*"، وحتى وقت قريب، قال السفير الإسرائيلي السابق لدى الأمم المتحدة، دان جيلرمان، *إن* الفلسطينيين *"حيوانات فظيعة وغير إنسانية*".

في الصور، شوهدت نيكي، التي لطالما كانت مهتمة بقيم الأسرة، وهي تكتب على إحدى القنابل التي استُخدمت بعد ساعات لقتل عشرات الأطفال الأبرياء:

"اقضوا عليهم. الولايات المتحدة تحب إسرائيل. إلى الأبد.
نيكي هالي"

نيكي هالي (اسمها عند الولادة نيماراتا نيكي راندهاوا، ابنة مهاجرين من الهند) كانت حاكمة ولاية كارولينا الجنوبية وثاني أكثر المرشحين حصولاً على الأصوات لترشيح الحزب الجمهوري للرئاسة. حتى أمس كانت مرشحة للانضمام إلى ترامب–هالي في الانتخابات المقبلة. في عام 1996، تزوجت الشابة نيماراتا راندهاوا من الجندي ورجل الأعمال مايكل هالي، ثم اعتنقت المسيحية، دين الحب.

إرهابيون؟

نوفمبر 2019. أحد آلاف الأطفال الذين اختطفهم الجيش الإسرائيلي. حالياً، يقبع 9500 فلسطيني في سجون إسرائيل دون محاكمة قانونية عادلة بتهم مثل الإهانة ونشر الصور والتعليقات على مواقع التواصل الاجتماعي أو رشق الدبابات بالحجارة. منذ عقود، دأبت منظمات دولية مختلفة (مثل جوش بول، الموظف السابق في وزارة الخارجية الأمريكية) على إدانة الإساءة والاعتداءات الجنسية على الفلسطينيين في سجون إسرائيل، وكثير منهم من القاصرين. ووصفت المنظمات التي أدانت هذه الممارسات بأنها *إرهابية*.

يمكن للهمجيين أن يتعلموا زراعة الأرض

"تعتزم أوروغواي 'إحضار بعض الشباب الفلسطينيين من الضفة الغربية' لتدريبهم على الزراعة من خلال برنامج منظمة الأغذية والزراعة (الفاو)، حسبما قال لوبتكين"

(القناة 12، أوروغواي، 6 يونيو 2025)

في يوم الاثنين 12 مايو 1919، كتب وزير حرب المملكة المتحدة، والوزير المستقبلي وبطل الحرب العالمية الثانية، وينستون تشرشل، في إشارة إلى ممارسته الخاصة باستخدام الغاز ضد المتظاهرين والمتمردين العرب:

"لا أفهم هذا التردد في استخدام الغاز. في مؤتمر السلام، اتخذنا موقفًا نهائيًا يدافع عن الإبقاء عليه كوسيلة حرب دائمة... أنا أؤيد بشدة استخدام الغاز السام ضد القبائل غير المتحضرة. يجب أن يكون التأثير المعنوي إيجابياً بحيث تقل الخسائر في الأرواح إلى الحد الأدنى. ليس من الضروري استخدام الغازات الأكثر فتكاً فقط: يمكن أيضاً استخدام الغازات التي تسبب إزعاجاً كبيراً وتبث الرعب..."

ووصف الهنود بأنهم حيوانات تعبد الأفيال. وبالتالي، كان مسؤولاً بشكل مباشر وواعي عن المجاعة التي قتلت ملايين الأشخاص في البنغال، في عام 1943، قبل وقت قصير من توقيعه اتفاق تحالف مع ستالين في إيران لمحاربة النازية.

هذه الكلمات التي قالها البطل البريطاني والمدافع عن الحرية وحقوق الإنسان، هذه الأفكار والأفعال العنصرية لم تكن جديدة في ذلك الوقت

ولم تسبب أي فضيحة. كان العنصرية المتعالية والمسيحية، مثل *"القدر الواضح*" لأونيل و"*تضحية الرجل الأبيض*" لكيبلينغ، اللذان برروا وروجوا في القرن التاسع عشر لقتل "الشعوب غير المتحضرة" و"الأعراق الدنيا"، سلفاً لهتلر والنازية. سرق هتلر فقرات كاملة من ماديسون غرانت لكتابه "*كفاحي*" وشكره على الإلهام. كانت شعبية النازية في بلدان مثل إنجلترا والولايات المتحدة عميقة وواسعة، خاصة بين رجال الأعمال الأثرياء والسياسيين الأقوياء، إلى أن بدأوا يخسرون الحرب العالمية الثانية، وفجأة أصبح المجرمون النازيون مجرد حفنة من المجانين، وليسوا جماهير متواطئة وجبانة من المتحضرين الجميلين والمتفوقين الذين أصيبوا بفقدان ذاكرة مفاجئ.

بعد مائة عام، أصبحت قصة قمع غير المتحضرين والأعراق الدنيا والشعوب الملعونة من الله أسوأ بألف مرة، وكما كان الحال آنذاك، يبدو أن الأمر ليس بالغ الأهمية. ولكن المعلومات المتاحة في الوقت الحقيقي أصبحت أيضاً أفضل بألف مرة، وبالتالي فإن المسؤولية والعار (أو الوقاحة) تتضاعف ألف مرة.

حاليًا، أوروغواي هي أحد تلك الأمثلة التي لا تصل إلى درجة المأساوية لمجرد عجزها العسكري والدعائي عن إحداث الكثير من الأذى. ليس لأننا شعب متفوق، كما يصر حكومتنا بلطف على توضيح ذلك بمثالها الخاص. وهذا لا يعفينا من العار بسبب جبن الإنكار أو التردد الأخلاقي أمام أكثر الأحداث مأساوية في التاريخ المعاصر. جبن وإنكار يعفو منه آلاف الأوروغوايين الذين لا ينحنون مرتعشين أمام الفاشيين الحاليين، أولئك الذين يرعبون بكل إفلات من العقاب من اليمين إلى اليسار – بهذا الترتيب.

بعد أن رفض رئيس أوروغواي ياماندو أورسي طلب حزبه (ائتلاف اليسار الجبهة الواسعة) بتعريف المذابح في غزة على أنها *إبادة جماعية*، دافع عن نفسه قائلاً إن ما يهمه هو الأفعال وليس الأقوال، وأنه يفضل

عدم الحديث عن "الحرب" وتقديم "حلول ملموسة"، مثل إرسال الحليب المجفف والأرز إلى غزة... وصفت سفارة إسرائيل في أوروغواي انتقاد الجبهة الواسعة للإبادة الجماعية في غزة بأنه "تعبيرات عن كراهية مقنعة" وحذرت من "عواقب خطيرة". ووصفت منظمة بناي بريث البيان الموجز الصادر عن الجبهة الواسعة بأنه "خطأ أخلاقي جسيم".

بسبب الانتقادات السابقة من قبل الفنانين والناشطين اليساريين لتردد حكومته، حاول الرئيس مرة أخرى إخماد النار بمزيد من الوقود. في تصريح جديد للصحف، قال إنه يدين "التصعيد العسكري" وأن هجوم نتنياهو "يغذي معاداة السامية" ويولد "السأم" في "قطاعات مهمة" من الشعب الإسرائيلي.

من الواضح تمامًا أن الإبادة الجماعية الصهيونية يمكن أن تغذي، من بين أمور أخرى، معاداة السامية، حيث كان الصهاينة أنفسهم دائمًا هم الذين، لأسباب سياسية وجيوسياسية وأيديولوجية، تولوا مهمة إرباك الناس وربط الصهيونية باليهودية بشكل استراتيجي (مثل ربط كو كلوكس كلان بالمسيحية)، لذلك، حتى مئات الآلاف من اليهود الذين يعارضون بنشاط قتل الفلسطينيين والفصل العنصري في إسرائيل يمكن أن ينتهي بهم الأمر ضحايا يتم تحميلهم مسؤولية شيء يدينونه.

ولكن ماذا عن مئات الآلاف من الفلسطينيين الذين تم ذبحهم وتشويههم وترويعهم وتجويعهم؟ أليسوا هم الضحايا المباشرين للكراهية والعنف الذي يصر على أنه "لا يوجد أبرياء في غزة، ولا حتى الأطفال"، وبالتالي فإن إبادتهم – قبل أن يصبحوا "إرهابيين" أمر مبرر؟ أليس المستوطنون الأوروبيون الذين يدعون أنهم من نسل رجل يدعى إبراهيم عاش قبل 4000 عام في ما يعرف اليوم بالعراق، هم المعادون للسامية الحقيقيون؟ رجل أنجب أولاً ابناً من جاريته بناءً على طلب زوجته العاقر. لكن ابن إبراهيم والجارية أنجب سلالة العرب. ولما حدث خطأ ما،

أنجبت سارة ابنها في سن التسعين بمعجزة من الرب، الذي أنجب سلالة الإسرائيليين (وفقًا للتقليد نفسه الذي يربط بين الإسرائيليين الذين عاشوا قبل 3000 عام والإسرائيليين الحاليين) وهي نسخة محسنة من عرق أخيها. لكن دعونا نترك هذا المنطق السريالي الذي لا يبدو واضحًا إلا للمتعصبين الذين يعيشون في حالة من النشوة الدائمة.

إن مجرد فكرة إرسال الحليب والأرز إلى غزة تحت شعار "أفعال لا أقوال" تخفي الجهل العميق بما يحدث للمساعدات الإنسانية في فلسطين أو، على الأرجح، الإنكار والخوف المعروف من انتقاد القوة التي ترتكب إبادة جماعية – لنقل *مذبحة*، حتى لا نسيء إلى مشاعر القتلة ومدافعيهم.

بالطبع، إذا ذكرت ذلك، فإن الحجة التلقائية هي "لم أرك تدين الهجوم الذي وقع في 8 أكتوبر". وهذا أمر خاطئ ومتناقض، لأنه دائمًا ما يقال من قبل أولئك الذين لم يدينوا ولن يدينوا أبدًا المذابح المتكررة و وانتهاك حقوق الإنسان بشكل منهجي ضد الفلسطينيين وجيرانهم الآخرين منذ الحرب العالمية الثانية، عندما كان الصهاينة أنفسهم يعترفون بفخر بأنهم إرهابيون.

وقد خرج وزير الخارجية الأوروغوايي، ماريو لوبيتكين (المدير السابق للاتصالات المؤسسية لمنظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة في أمريكا اللاتينية) لإخماد نار (الآن حريق) انتقادات قاعدته السياسية بإعلان خطط للسماح بوصول "بعض الشباب الفلسطينيين من الضفة الغربية" إلى البلاد لتدريبهم على الزراعة المستدامة. وفي برنامج إذاعي آخر، أكد أن الشباب الفلسطيني يمكنهم "التفكير في اليوم التالي" من خلال التحول إلى *رجال أعمال* وبدء *مشاريعهم* الخاصة.

اليوم التالي لماذا؟ لماذا يتعين علينا نحن، أسياد الغرب، أن نخبرهم بما يجب عليهم فعله ليصبحوا متحضرين، وكيف يتعلمون ويتكيفون مع

التقدم والخضوع للرأسمالية الأنجلوسكسونية؟ بالطبع، إعادتهم إلى المنفى، بعيدًا عن أرضهم وقراراتهم السيادية كأفراد وكشعب.

بصرف النظر عن الوعي الغامض لوزارة الخارجية الأوروغوايية، لا يفهم الكثيرون ولا يتصورون أن هناك في فلسطين آلاف المهنيين والأكاديميين ثنائيي اللغة الذين قُصفت مدارسهم وجامعاتهم حتى أصبحت أنقاضًا. في إسرائيل، يعتبرونهم حيوانات حمل، وفي الغرب يعتقدون أنه يمكنهم تعليمهم زراعة أشجار الزيتون.

في أوائل عام 2024، اجتمعت مع مسؤولي الشؤون الدولية في جامعتي في الولايات المتحدة لأقترح عليهم إنشاء "منح إنسانية" للطلاب المتضررين من النزاعات الحربية. وبصرف النظر عن أن الفكرة لاقت استحسانًا كبيرًا، إلا أنها غرقت في كسل المانحين. لكن يا لها من فكرة جيدة، أن نخرج الفلسطينيين من فلسطين لنتعلمهم زراعة أراضٍ أخرى! كيف لم يخطر ذلك على بالهم من قبل؟ لا يتعلق الأمر بمنح منحة دراسية للشباب الذين فقدوا كل شيء تحت القنابل ليتأهبوا ويخوضوا معركة دولية من أجل سيادة شعبهم، بل لتعليمهم زراعة الأرض، أراضٍ أخرى لا علاقة لها بأرضهم التي يعرفونها كراحة يدهم وزرعوها لآلاف السنين بطريقة أكثر من مستدامة.

أين هي المقولة التي نسمعها من أساتذة الغرب بشكل متكرر بشكل مزعج عن الحاجة إلى "تكوين قادة عالميين"؟ كلما انتقدت هذا الشعار الاستعماري في أي اجتماع، يجد الكثيرون صعوبة في فهمي.

إن إرسال الشباب الفلسطيني لتعلم "الزراعة المستدامة" في أوروغواي هو فكرة جيدة لدرجة أنها تشبه "الحل النهائي" الذي يتحدث عنه كثيرًا أعضاء حكومة نتنياهو —ومعظم الإسرائيليين؛ وفقًا لاستطلاع أجرته صحيفة هآرتس الإسرائيلية، فإن 82 في المائة من السكان يؤيدون الطرد القسري للفلسطينيين من غزة.

رسالة مفتوحة

ما الذي يخافونه؟

أولئك الذين يصمتون اليوم خوفًا أو مصلحة، سيكررون غدًا أنهم كانوا دائمًا ضد الإبادة الجماعية. في الوقت الذي لا يفيد فيه قول ذلك في شيء، إلا، مرة أخرى، لمصالحهم الشخصية.

سيدي رئيس أوروغواي، ياماندو أورسي،
السيدة نائبة الرئيس آنا كارولينا كوس،
السيد وزير الخارجية ماريو إسرائيل لوبيتكين،
السيدة وزيرة الدفاع ساندرا لازو،
سيداتي وسادتي في سفارة الله:

أود أن أعتقد أن حقوق الإنسان، عندما لا تكون ذريعة لغزو بلد ما أو لممارسة السلطة الهيمنية لإمبراطورية ما، لا تنتمي إلى أي أيديولوجية حزبية. ومع ذلك، وبناءً على التاريخ المأساوي في أوروغواي وأمريكا اللاتينية، أعتقد أنه من المناسب أن أخاطب بعضكم كرجال ونساء من اليسار الذين، في الغالب، كانوا يلتزمون ليس فقط بالأفكار بل بالقيم الإنسانية، تلك القيم التي كانت اليمين النيوليبرالية في الماضي تنكرها بخبث والتي اليوم ينكرها ابنها غير المعترف به، الفاشية، بفخر: قيم المساواة والعدالة الاجتماعية والتضامن والتسامح مع الأفكار المختلفة وعدم التسامح مع الأخلاق العنصرية والجنسية والطبقية والإمبريالية للعبيد الحاليين.

في أوروغواي، على وجه الخصوص، جعل الرجال والنساء اليساريون الذين قاوموا الديكتاتورية حقوق الإنسان راية لا يمكن التفاوض عليها، لدرجة أنهم اتُهموا واحتُقروا بسبب ذلك.

الآن، ما الفرق بين دعم الديكتاتورية العسكرية في أوروغواي ودعم الإبادة الجماعية في فلسطين؟ كلاهما كانا ولا يزالان من أعمال الوحشية الإمبريالية، لكن الثاني أكبر بألف مرة من حيث عدد القتلى والمذبوحين والمبتورين والمصابين بالصدمة النفسية والمعذبين والمجوعين والمختفين. والثاني، إلى جانب كونه أيديولوجياً، هو عنصري للغاية وأقدم بعدة مرات.

الوزير لوبتكين: لرفض قرار الجبهة الواسعة بشأن الإبادة الجماعية في غزة، لخصت فكر وقيم هذه الحكومة اليسارية الجديدة المتنكرة، التي تتخلى كل يوم أكثر عن مُثُلها باسم براغماتية تخدم، كالعادة، مُثُل الأقوياء: "*القوة السياسية شيء، والحكومة شيء آخر؛ نحن ندير الحكومة*".

ألم تشعروا بقليل من الخجل من كل هذه الغطرسة بالنسبة لشخص ليس من الجبهة الواسعة ولم ينتخبه الشعب؟ لقد ذكرني ذلك بنكسون عندما قرر عزل أليندي لأن التشيليين صوتوا "*بشكل غير مسؤول*". نفس الغطرسة والازدراء اللذان يفسران بقية مأساة الفلسطينيين والعديد من الشعوب الأخرى التي لا تملك وكالات سرية قوية.

عندما سُئلت عن قرار أوروغواي (حكومتها) بشراء أسلحة من إسرائيل، أجابت الوزيرة ساندرا لازو بقولها البديهي: "*سوف نشتري (الأسلحة) من الذين يقدمون أفضل الأسعار والجودة. أوروغواي ليس لديها أعداء*". كلمات وفلسفة الحياد أمام الوحشية، مختبئة وراء البراغماتية المؤيدة للأعمال التجارية التي كانت القاعدة في الثلاثينيات لتبرير التعامل مع هتلر، ومؤخراً مع الأنظمة الفاشية لبينوشيه وفيدلا وعشرات من الدكتاتوريين المرتزقة الآخرين للإمبريالية العالمية القديمة

الإبادة الجماعية. وهذا، في حالة عضو سابق في جماعة ماركسستية مسلحة مثل MPP مثلك، لا يزال يمثل مفارقة متعددة.

حتى أمس، كان لدينا أمل، لكن نائبة الرئيس كوس، المعروفة بوضوحها الفكري الذي لا يكثر في الحكومات الحالية، قضت عليه عندما رفضت إدانة الإبادة الجماعية في غزة، متخذة صمت الرئيس أورسي وتردده ووصفه، ومعيداً استخدام كلمة "تراجيديا" بدلاً من "مأساة" لكي لا تقول شيئاً، ولا تفعل شيئاً، ولا تشير إلى أي شيء أو أي شخص: *أؤمن بحق الشعوب في تقرير مصيرها... يجب على الشعب الإسرائيلي أن يجد طريقه، مثل جميع شعوب العالم، وسأحترم ذلك تمامًا*".

وماذا عن حق تقرير المصير للمستعمرين، وضحايا الفصل العنصري، وعشرات الآلاف من الأطفال المذبوحين، والإعدامات من أجل التسلية، والمجاعة المصممة دون خفاء وبأعذار أقل فأقل؟

هل تشعر هذه *اليسار* حقًا بالارتياح أكثر إلى جانب العنصرية والقصف الإمبريالي؟

لماذا ترتجف ضمائرهم دائمًا عندما يُسألون عن إسرائيل، ويتنفسون الصعداء عندما يعود الصحفيون إلى مجالاتهم الآمنة، مثل فقر الأطفال وفساد الآخرين؟

ما الذي يميز هذه "اليسار" اللاتيني عن التقدميين اللطفاء المؤيدين للإبادة الجماعية والإمبريالية مثل باراك أوباما وكمالا هاريس؟

عندما كنت أعمل في موزمبيق برفقة بعض الأوروبيين، أو أثناء سفري إلى ألمانيا، لطالما لفت انتباهي أن أحداً لم يكن له أب أو جد نازي. في حالة الديكتاتورية الأوروغوايية، كنا قاسيين في انتقاداتنا للمتعاونين مع الديكتاتورية ( ) وقاسيين مع أولئك الذين شاركوا في التعذيب والاختفاءات. لم يكن الأمر كذلك مع أولئك الذين اضطروا إلى الصمت لأن حياتهم وحياة أطفالهم كانت تعتمد على ذلك.

ليس هذا هو الحال اليوم. أولئك الذين يصمتون اليوم خوفاً أو مصلحة، سيكررون غداً أنهم كانوا دائماً ضد الإبادة الجماعية. في الوقت

الذي لا يفيد فيه قول ذلك في شيء، إلا، مرة أخرى، لمصالحهم الشخصية.

الضعف الأخلاقي في هذه الحالة أسوأ بكثير. على الأقل، لعل السياسيين ورجال الأعمال والموظفين المنكرين يدركون أن مناصبهم أو مكاسبهم تعتمد على صمتهم المتواطئ. على الأقل، لعلها مجرد جبن ذاتي. لا بد أن هناك سبباً ما غير الأعذار الكلاسيكية للنازيين المرتكبين للإبادة الجماعية مثل "إنهم جرذان وعلينا إبادةهم" و"لدينا الحق في الدفاع عن أنفسنا". أو من قبل مؤيدي الإبادة الجماعية الأكثر حداثة، الذين يكررون بوقاحة أخلاقية على التلفزيون المفتوح في أوروغواي أن "لا يوجد أبرياء في غزة"، أو أن "الله منحنا حقوقًا خاصة منذ ثلاثة آلاف عام" وكل تلك الديالكتيك الإجرامي الذي يقدسه الفقراء الروح الذين لا ينتمون إلى النادي في المعابد، خائفين من جحيم لا وجود له، وفقًا لخالق الكون نفسه.

نحن الأوروغوايون، الأوروبيون الشاروويون مثل تاباري (غيليرمو تيل سويسرا أمريكا)، الذين نفتخر ، ولسبب ما، بالمدنية الديمقراطية لسكانها، قدمنا أيضاً لأمريكا اللاتينية، ومن اليسار، خدماً مثل أمين عام منظمة الدول الأمريكية، لويس ألماغرو. نؤكد الآن هذه التقليد الجديد لما أسماه مالكولم إكس "الزنجي في المنزل"، أي العبد، الحارس الغيور لأسياده.

أيها السادة المنتخبون وغير المنتخبين (ولكن المختارون) في الحكومة:

حتى لو نجحت هذه الحكومة في أن تكون الأكثر نجاحًا في التاريخ، فلن يستطيع كل الكلور في العالم أن يزيل وصمة العار عن موقفها المتواطئ مع الإبادة الجماعية في فلسطين.

سيبقى ذلك محفوراً

فـي الذاكرة التـي لا تمحـى
فـي ذاكرة
التـاريخ.

بالطبع، يمكننا جميعًا أن نخطئ ألف مرة في الأفكار المعقدة، ولكن لا داعي لأن تكون عبقريًا لتكون لديك مبادئ أخلاقية واضحة. الحياد هو السمة الرئيسية للجبناء. جبن مزدوج عندما تحاول تبريره بالكلام المتلعثم.

لنقف دقيقة صمت ونفكر فيما سيقوله أفضل الأوروغواييين في التاريخ، من خوسيه أرتيغاس إلى إدواردو غاليانو، على سبيل المثال لا الحصر. قائمة الأسوأ، الموجودين اليوم في مزبلة التاريخ، أطول، لكننـي لا أنصح بأخذها كمرجع، ناهيك عن الاستمرار في توسيعها.

كيف سيحكم علينا التاريخ أمر واضح للغاية، ولكنه غير ذي صلة في الوقت الحالي. أولئك الذين ما زالوا يؤمنون بأن الله خلق الكون والبشرية ثم كرس نفسه لتحريض شعب على إبادة آخرين سيختلفون معنا، ولكن مع المتعصبين لا يمكن التفاهم.

ما يهم الآن هو التصرف على أساس المبادئ الأخلاقية الأساسية، متجاهلين الخوف من القوائم السوداء وتراجع الأعمال. إذا كان شيء ما يخدم مصالحنا الشخصية والطائفية فقط، فمن المؤكد أنه غير أخلاقي.

هل يمكننا، نحن البشر هنا على الأرض، أن نتوقع رد فعل من جانبهم، حتى لو كان *قليلاً ومتأخراً*؟

يوليو 2025

هناك شيء لا يمكن شراؤه أو بيعه،
ولهذا السبب يزعجنا كثيرًا

عندما كان لدى الولايات المتحدة عبيد مقيدون بالأغلال، كانت تقدم نفسها كنموذج للديمقراطية. ولا تزال تصر حتى اليوم على أنها لم تعرف أبدًا الدكتاتورية.

كان رونالد ريغان يدافع عن *الفصل العنصري* في جنوب إفريقيا باعتباره حصنًا للحرية في ذلك القارة المليئة بالسود الميالين إلى الاشتراكية، بينما كان نيلسون مانديلا مدرجًا على قائمة "الإرهابيين الخطرين" في لندن وواشنطن.

كيف يمكن أن تُعرّف إسرائيل، وهي نظام *فصل عنصري* آخر وفقاً لجميع منظمات حقوق الإنسان الدولية ووفقاً للعديد من الإسرائيليين، بأنها ديمقراطية؟ نظام وحشي، لديه ترخيص للقتل والذبح كما يشاء، مع كل مليارات الدولارات الأجنبية في الأسلحة والتكنولوجيا المتطورة، ويبكي كما لو كان الضحية العالمية.

في أي عقل سليم يمكن أن يتقبل أنه بينما يتم ذبح عشرات الآلاف من الأطفال، يتم الإصرار على أن هؤلاء الأطفال وجميع الأطفال الذين ما زالوا على قيد الحياة جائعين ومصدومين ومبتوري الأطراف يجب أن يموتوا، وكأن هذا لا يكفي، يتم تملقهم من قبل قادة اليمين واليسار العالميين المرتجفين (*المرتجفين*)؟

لدي مجموعة من التهديدات الجبانة (*حظر*، قوائم سوداء) ولا تخيفني أي منها، ولكن لدي أيضاً تضامن عدد لا يحصى من اليهود المحترمين الذين لا يسمحون لأنفسهم بالانحراف عن طريق هذه الأيديولوجية المتعصبة والعنصرية والمتطرفة.

سأكرر ذلك ألف مرة. يمكنهم قتل كل الآلاف من البشر الذين يريدون، يمكنهم تهديد المليارات من سكان هذا الكوكب الذين يحتجون

على هذه الوحشية، لكنهم لن يتمكنوا أبدًا من قتل كرامة الآخرين التي لم يمتلكها أبدًا هؤلاء الجبناء المسلحون جيدًا والمتملقون.

التاريخ يخبئ لهم مصرفاً للصرف الصحي عند الزاوية.